كلا ولا التأويل والتبديل والـــتحريف للوحيين بالبهتـان
كلا ولا الاشكال والتشكيك والـــوقف الذي مافيه من عرفان
هذي علومكم التي من أجلها عاديتمونا يا أولي العرفان

هذه الأبيات التي صدر بها الناظم هذا الفصل تشابه ما أنشده الحافظ مؤرخ الاسلام أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي رحمه الله تعالى .

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس خلف فيه
ماالعلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي سفيه
كلا ولا نصب الخلاف جهالة بين النصوص وبين رأي فقيه
كلا ولا رد النصوص تعمداً حذراً من التجسيم والتشبية
حاشا النصوص من الذي رميت به من فرقة التعطيل والتمويه

قال الناظم :

فصل

في عقد الهدنة والأمان الواقع بين المعطلة وأهل الالحاد حزب جنكسخان .

قال في « القاموس » : الهدنة بالضم : المصالحة ، كالمهادنة

ياقوم صالحتم نفات الذات والـــأوصاف صلحاً موجباً لأمان
وأغرتم وهنا عليهم غارة قعقعتم فيها لهم بشنان
ماكان فيها من قتيل منهم كلا ولا فيها أسير عان
ولطفتم في القول أو صانعتم وأتيتم في بحثكم بدهان
وجلستم معهم مجالسكم مع الـــأستاذ بالآداب والميزان

وضرعتمُ للقول كل ضراعة حتى أعاروكم سلاح الجاني
فغزوتمُ بسلاحهم لعساكر الـــإثبات والآثار والقرآن
ولأجل ذا صانعتموهم عند حر بكمُ لهم باللطف والإذعان
ولأجل ذا كنتم مخانيثاً لهم لم تنفتح منكم لهم عينان
حذراً من استرجاعهم لسلاحهم فترون بعد السلب كالنسوان

يعني الناظم رحمه الله تعالى أن المتكلمين من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم لما ابتدعوا دليل الاكوان المعروف ، وقصدوا بذلك الرد على الفلاسفة . قال شيخ الاسلام ، وقالوا : إن دين الاسلام إنما يقوم على هذا الأصل وانه لايعرف أن محمداً رسول الله الا بهذا الأصل ، فان معرفة الرسول متوقفة على معرفة المرسل ، فلا بد من إثبات العلم بالصانع أولاً ، ومعرفة مايجوز عليه ومـــا لايجوز عليه ، قالوا : وهذا لايمكن معرفته الا بهذا الطريق . ويقول كثير منهم : إن هذه طريقة ابراهيم الخليل المذكورة في قوله (لاأحب الآفلين) الأنعام : ٧٦ قالوا : فان ابراهيم استدل بالأفول ، وهو الحركة والانتقال ، على أن المتحرك لايكون إلهاً . قالوا : ولهذا يجب تأويل ماورد عن الرسول مخالفاً لذلك عن وصف الرب بالاتيان ، والمجيء ، والنزول ، وغير ذلك ، فان كونه نبياً لم يعرف الا بهذا الدليل العقلي ، فلو قدح في ذلك ، لزم القدح في دليل نبوته ، فلم يعرف أنه رسول الله ، وهذا ونحوه هو الدليل العقلي الذي نقول : إنه عارض السمع ، ونقول : اذا تعـــارض السمع والعقل امتنع تصديقها وتكذيبها ، وتصديق السمع دون العقل ، لأن العقل هو أصل السمع ، فلو جرح أصل الشرع كان جرحاً له ، ولأجل

هذا الطريق نفت الجهمية والمعتزلة الصفات والرؤية ، وقالوا : القرآن مخلوق ، ولأجلها قالت الجهمية بفناء الجنة والنار ، ولأجلها قال العلاف بفناء حركتها ، والتزم قوم لأجلها أن كل جسم له طعم ولون وريح . فقال لهم الناس : أما قولكم : إن هذه الطريقة هو الأصل في معرفة الاسلام ، ونبوة الرسل ، فهذا مايعلم فساده بالاضطرار من دين الاسلام ، فانه من المعلوم لكل من عرف حال الرسول وأصحابه ، وما جاء به من الإيمان والقرآن أنه لم يدع الناس بهذه الطريقة ابداً ، ولا تكلم بها أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ، فكيف تكون هي أصل الايمان ؟ ! والذي جاء بالإيمان وأفضل الناس إيماناً لم يتكلموا بها البتة ، ولا سلكها منهم أحد ، والذين علموا أن هذه طريقة مبتدعة حزبان : حزب ظنوا أنها صحيحة في نفسها لكن أعرض السلف عنها لطول مقدماتها وغموضها ، وما يخاف على سالكها من الشك والتطويل ، وهذا قول جماعة ، كالأشعري في رسالته الى الثغر ، والخطابي ، والحليمي ، والقاضي أبي يعلى ، وابن عقيل ، وأبي بكر البيهقي ، وغير هؤلاء . والثاني : قول من يقول : بل هذه طريقة باطلة في نفسها . ولهذا ذمها السلف وعدلوا عنها ، وهذا قول أئمة السلف ، كابن المبارك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه ، وأبي يوسف ، ومالك ابن أنس ، وعبد العزيز بن الماجشون ، وغير هؤلاء من السلف . وحفص الفرد لما ناظر الشافعي في مسألة القرآن ، وقال : القرآن مخلوق ، وكفره الشافعي ، كان قد ناظره بهذه الطريقة ، وكذلك أبو عيسى محمد بن عيسى برغوث كان من المناظرين للامام أحمد في مسألة القرآن بهذه الطريقة ، وقال لهم الناس : إن هذا الاصل الذي ادعيتم اثبات الصانع به ، وأنه لايعرف إثبات خالق للمخلوقات إلا به ، هو بعكس ماقلتم ، بل هذا الأصل يناقض كون الرب خالقاً للعالم ، ولا يمكن مع القول به القول بحدوث العالم ، ولا الرد على

الفـــلاسفة ، فالمتكلمون الذين ابتدعوه ، وزعموا أنهم به نصروا الاسلام ، وردوا به على أعدائه ، كالفلاسفة ، لا الاسلام نصروا ، ولا لعدوه كسروا ، بل كان مـا ابتدعوه مما أفسدوا به حقيقة الاسلام على من اتبعهم ، فأفسدوا عقله ودينه ، واعتدوا به على من نازعهم من المسلمين ، وفتحوا لعدو الاسلام باباً الى مقصوده ، فان حقيقة قولهم : ان الرب لم يكن قـادراً ، ولا كان الكلام والفعل ممكنا له ، ولم يزل كذلك دائماً مدة أو تقدير مدة لانهاية لها ، ثم انه تكلم وفعل من غير سبب اقتضى ذلك ، وجعلوا مفعوله هـو فعله ، وجعلوا فعله وارادته بعلة قديمة أزلية ، والمفعول متأخراً ، وجعلوا القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلامرجح ، وكل هذا خلاف المعقول الصريح ، وخلاف الكتاب والسنة . وأنكروا صفاته ورؤيته وقالوا : كلامه مخلوق ، وهو خلاف دين الاسلام ، والذين اتبعوهم وأثبتوا الصفـــات قالوا : يريد جميع المرادات بارادة واحدة ، وكل كلام تكلم به ، أو يتكلم به ، انما هو شيء واحد ، لايتعدد ولا يتبعض ، واذا رؤي رؤي لابمواجهة ولا معاينة وانه لم يسمع ، ولم يرى الأشياء حتى وجدت ، لم يقم به أنه موجود ، بل حاله قبل أن يسمع ويبصر كحاله بعد ذلك . . الى أمثال هذه الأقوال التي تخالف المعقول الصريح ، والمنقول الصحيح . ثم لما رأت الفلاسفة أن هذا مبلغ علم هؤلاء ، وان هذا هو الاسلام الذي عليـه هؤلاء ، علموا فساد هذا ، أظهروا قولهم بقدم العالم ، واحتجوا بأن تجدد الفعل بعد أن لم يكن ممتنع ، بل لابد لكل متجدد من سبب حادث ، فيكون الفعل دائمـاً ، ثم ادعوا دعوى كاذبة لم يحسن أولئك أن يبينوا فسادها ، وهو أنه اذا كان الفعل دائماً لزم قدم الأفلاك والعناصر ، ثم لما أرادوا تقرير النبوة جعلوها فيضاً يفيض على نفس النبي من العقل الفعال أو غيره من غير أن يكون رب العالمين يعلم

له رسولاً، معيناً ولا يميز بين موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ولا يعلم الجزئيات ، ولا نزل من عنده ملك ، بل جبريل هو خيال يتخيل في نفس النبي ، وهو العقل الفعال . وأنكروا أن تكون السموات تنشق وتنفطر ، وغير ذلك مما أخبر به الرسول ﷺ ، وزعموا أن ماجاء به الرسول ﷺ إنما أراد به خطاب الجمهور بما يخيل اليهم بما ينتفعون اليه من غير أن يكون الأمر في نفسه كذلك ، ومن غير أن تكون الرسل بينت الحقائق وعلمت الناس ما الأمر عليه . ثم منهم من يفضل الفيلسوف على النبي . وحقيقة قولهم : أن الأنبياء كذبوا للمصلحة لما ادعوه من نفع الناس، وهل كانوا جهلاء؟ على قولين لهم . إلى غير ذلك من انواع الالحاد والكفر الصريح ، والكذب على النبي ﷺ ، وعلى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . إلى آخر ما ذكره رحمه الله تعالى . وقول شيخ الاسلام : انهم ، يعني المتكلمين : لا للاسلام نصروا ، ولا لعدوه كسروا ، هو معنى قول الناظم : وأغرتم وهناً عليهم غارة الخ .

قوله: ولطفتم في القول أو صانعتم. يعني أنكم لضعف دليلكم صانعتم الفلاسفة وتلطفتم بالرد عليهم ، لأن بعض المتكلمين يصرحون بتكافىء الأدلة ، كما قال الامام شيخ الاسلام أبو اسماعيل عبد الله بن محمد الانصاري في كتاب « ذم الكلام » قال : وقد سمعت محمد بن زيد العمري النسابة ، أخبرنا المعافى ، سمعت أبا الفضل الحارثي القاضي بسرخس يقول : سمعت زاهر بن أحمد يقول : أشهد لمات فلان متحيراً لسبب مسألة تكافىء الأدلة ، وذكر إماماً من أئمة المتكلمين ، ونقل شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب « العقل والنقل » قال : وقد بلغني باسناد متصل عن بعض رؤوسهم ، وهو عند كثير منهم غاية في هذا الفن أنه قال عند الموت : أموت وما علمت شيئاً ، إلا أن الممكن يفتقر الى الواجب

ثم قال : الافتقار وصف عدمي أموت وما علمت شيئاً ، و كذلك الاصبهاني اجتمع بالشيخ ابراهيم الجعبري يوماً فقال له : بت البارحة أفكر إلى الصباح في دليل على التوحيد سالم عن المعارض ، فما وجدته ، و كذلك حدثني من قرأ على ابن واصل الحموي أنه قال ، أبيت بالليـــل وأستلقي على ظهري ، وأضع الملحفة على وجهي ، وأبيت أقابل أدلة هؤلاء بأدلة هؤلاء ، وبالعكس ، وأصبح وماترجح عندي شيء ، كأنه يعني أدلة المتكلمين من الفلاسفة . انتهى كلام الشيخ .

قوله : قعقعة فيها لهم بشنان ، القعقعة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت مثل السلاح وغيره . الشنان : جمع شن ، وهو القربة البالية ، وهم يحركونها اذا أرادوا حث الإبل على السير لتفزع فتسرع .

قال النابغة :

كأنك من جمال بني أقيش يقعقع خلف رجليه بشن

مثل يضرب لمن لا يتضعضع لما ينزل به من حوادث الدهر ، ولا يروعه ما لا حقيقة له.

ومعنى كلام الناظم رحمه في هذا الفصل : إنكم أيها النقاة صانعتم الفلاسفة ، وناظرتموهم مناظرة ضعيفة ، لم تزدهم الا شراً وإغراء .

قـــوله : ولأجل ذا صرتم مخانيثاً لهم الخ . هذا كما يقال المعتزلة مخانيث الفلاسفة .

قـــال الناظم رحمه الله تعالى :

وبحثتم مع صاحب الاثبات بالتـــكفير والتضليل والعدوان
وقلبتم ظهر المجن له وأجلبـــتم عليه بعسكر الشيطان
والله هذي رتبة لايختفي مضمونها إلا على الثيران

هــذا وبينهما أشد تفاوت　　فئتان في الرحمن مختصمان

هذا نفى ذات الاله ووصفه　　نفياً صريحاً ليس بالكتمان

لكنّ ذا وصف الاله بكل أو　　صاف الكمال المطلق الرباني

ونفى النقائص والعيوب كنفيه الـ　　ـتشبيه للرحمن بالانســـان

فلأي شيء كان حربكم له　　بالجد دون معطل الرحمن

قوله : وبحثتم مع صاحب الاثبات الخ ؛ أي أنكم خرجتم عن الحد في بحثكم مع صاحب الاثبات ، وكفرتموه وضللتموه واعتديتم عليه .

قوله : وقلبتم ظهر المجن. قال في « القاموس » المجن ، والمجنة ، بكسرهما والجنان بالضم : الترس ، وقلب مجنه أسقط الحياء ، وفعل ماشاء ، أو ملكه أمره ، أو اشتد به .

قوله : هذا نفى ذات الاله ووصفه الخ . أي : إن المعطل نفى ذات الرب سبحانه وصفاته ، وهذا من الناظم في نفي ذات الرب سبحانه على سبيل الالزام ، والمثبت أثبت صفات الكمال لربه سبحانه ونفى عنه النقائص والعيوب ، فلاي شيء كان حربكم المثبت بالحد ؛ أي : (حاربتموهم أشد الحرب)[1] وأما المعطلة فصانعتموهم وداهنتموهم في البحث ، وتأدبتم معهم وانما ذلك لخوف استرجاعهم سلاحهم الذي تسلحتم على نفي صفات الرب سبحانه

قال الناظم :

قلنا نعم هذا المجسم كافر　　أفكان ذلك كامل الايمان ؟!

لاتنطفي نيران غيظكم على　　هذا المجسم ياأولي النيران

(١) بياض في الأصل .

فالله يوقدها ويصلي حرها يوم الحساب محرف القرآن
ياقومنا لقد ارتكبتم خطة لم يرتكبها قط ذو عرفان
وأعنتمُ أعداءكم بوفاقكم لهمُ على شيىء من البطلان

أي: لما قلنا للمتكلمين: لأي شيء كان حربكم للمثبتة أشد الحرب، دون المعطلة. قالوا لنا في الجواب: إن المثبت كافر. فيقال لهم، فهل المعطل كامل الايمان ؟

قوله: وأعنتم أعداءكم بوفاقكم الخ ؛ أي إنكم معاشر المتكلمين أعنتم أعداءكم المعطلة على شيء من الباطل، كنفي صفات الرب سبحانه أو بعضها، وقولكم بخلق القرآن، وإنكار رؤية الله سبحانه في الآخرة، وغير ذلك

قال الناظم:

أخذوا نواصيكم بها ولحاكمُ فغدت تجر بذلة وهوان
قلتم بقولهم ورمتم كسرهم أنى وقد غلقوا لكم برهان
وكسرتم الباب الذي من خلفه أعداء رسل الله والايمان
فأتى عدو مالكم بقتالهم وبحربهم أبد الزمان يدان

أي: إن المتكلمين لما قالوا ببعض أقوال المعطلة صعب الرد عليهم منهم، لأنهم قد غلقوا لهم برهان، فلهذا عجزوا عن الرد عليهم.

قال الناظم:

فغدوتم أسرى لهم بحبالهم أيديكم شدت الى الأذقان

حملوا عليكم كالسباع استقبلت ... حمراً معقرة ذوي أرسان

صالوا عليكم بالذي صلتم به ... أنتم علينا صولة الفرسان

لولا تحيزكم الينا كنتم ... وسط العرين ممزقي اللحمان

لكن بنا استنصرتم وبقولنا ... صلتم عليهم صولة الشجعان

وليتم الاثبات اذ صلتم به ... وعزلتم التعطيل عزل مهان

وأتيتم تغزوننا بسرية ... من عسكر التعطيل والكفران

من ذا بحق الله أجهل منكم ... وأحقنا بالجهل والعدوان

تالله مايدري الفتى بمصابه ... والقلب تحت الختم والخذلان

قوله: لولا تحيزكم الينا الخ . يعني إن المتكلمين في بعض الأحوال، يتحيزون الى المثبتة وأهل الحديث ، كما صنف الامام أبو الحسن الأشعري المصنفات الكثيرة بعد رجوعه عن مذاهب المعتزلة في نصرة أهل السنة وأصحاب الحديث. كـ«الابانة في أصول الديانة » و«مقالات الاسلاميين » و « رسائل الثغر » وغير ذلك ، وكما قال الفخر الرازي في آخر مصنفاته ، وهو كتاب « أقسام اللذات » لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا ؛ ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ و (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠ واقرأ في النفي (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى : ١٠ (ولا يحيطون به علما) طه : ١١٠ ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي .

قـــال الناظم :

فصل

في مصارع النفاة والمعطلين بأسنة أمراء الاثبات الموحدين .

الأسنة : جمع سنان بكسر السين ، وهو : الرمح .

وإذا أردت ترى مصارع من خلا من أمة التعطيل والكفران
وتراهم أسرى حقيراً شأنهم أيديهم غلت الى الأذقان
وتراهم تحت الرماح دريئة مافيهم من فارس طعان

تقدم معنى الدريئة .

وتراهم تحت السيوف تنوشهم من عن شمائلهم وعن أيمان
وتراهم انسلخوا من الوحيين والـــعقل الصريح ومقتضى القرآن
وتراهم والله ضحكة ساخر ولطالما سخروا من الايمان
قد أوحشت منهم ربوع زادها الـــجبار إيحاشا مدى الأزمان

قال في « القاموس » الربع : الدار بعينها حيث كانت ، جمع رباع ، وربوع ، وأربع ، وأرباع ، والمحلة ، والمنزل ، والنفس ، وجماعة الناس ، والموضع يرتبعون فيه في الربيع ، كالمربع ، كمقعد . انتهى .

وخلت ديارهم وشتت شملهم مافيهم رجلان مجتمعان

قد عطل الرحمن أفئدة لهم من كل معرفة ومن ايمان
إذ عطلوا الرحمن من أوصافه والعرش أخلوه من الرحمن
بل عطلوه عن الكلام وعن صفا ت كماله بالجهل والبهتان
فاقرأ تصانيف الامام حقيقة شيخ الوجود العالم الرباني
أعني أبا العباس أحمد ذلك الـ ـبحر المحيط بسائر الخلجان

الخليج من البحر : شرم منه ، وهو أيضاً النهر ، وقيل جانباه : خليجاه والجمع خلج بضمتين . قاله في « مختار الصحاح »

واقرأ كتاب العقل والنقل الذي مافي الوجود له نظير ثان
وكذاك منهاج له في رده قول الروافض شيعة الشيطان
وكذاك أهل الاعتزال فانه أرادهم في حفرة الجبـان
وكذلك التأسيس أصبح نقضه أعجوبـة للعالم الـرباني

التأسيس المذكور : هو « تأسيس التقديس » للفخر الرازي في تأويل الصفات الخبرية ، صنفه للملك العادل ؛ أي : بكر بن أيوب ، وقد نقض شيخ الاسلام بكتاب « تخليص التلبيس من تأسيس التقديس » ويسمى أيضاً « بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، وهو كتاب عظيم نفيس. قـال تلميذه الحافظ محمد بن عبد الهادي في ترجمته المبسوطة : لو سافر رجل الى الصين في تحصيله لما كان كثيراً ، وهو كما قال :

وكذاك أجوبة له مصرية في ست أسفار كتبن سمان

وكذا جواب للنصارى فيه ما يشفي الصدور وأنه سفران

وهو المسمى بـ «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» .

وكذاك شرح عقيدة للاصبها في شارح المحصول شرح بيان

فيها النبوات التي إثباتها في غاية التقرير والتبيان

والله ما لأولي الكلام نظيره أبداً وكتبهم بكل مكان

وكذا حدوث العالم العلوي والـ ـسفلي فيه في أتم بيان

وكذا قواعد الاستقامة أنها سفران فيما بيننا ضخمان

وقرأت أكثرها عليه فزادني والله في علم وفي ايمان

هذا ولو حدثت نفسي أنه قبلي يموت لكان غير الشان

وكذاك توحيد الفلاسفة الألى توحيدهم هو غاية الكفران

سفر لطيف فيه نقض أصولهم بحقيقة المعقول والبرهان

وكذاك تسعينية فيها لـه رد على من قال بالنفساني

تسعون وجهاً بينت بطلانه أعني كلام النفس ذا الوحدان

أي : إنه رحمه الله صنف الكتاب المسمى بـ « التسعينية » وهو رد على القائلين بالكلام النفسي ، وان كلام الله تعالى معنى واحد قائم بالنفس على ما هو معروف . وقوله : ذا الوحدان بالحاء المهملة ؛ أي : انه معنى واحد .

وكذا قواعده الكبار وانها أوفى من المائتين في الحسبان
لم يتسع نظمي لها فأسوقها فأشرت بعض إشارة لبيان
وكذا رسائله الى البلدان والـ ـأطراف والاصحاب والاخوان
هي في الورى مبثوثة معلومة تبتاع بالغالي من الأثمان
وكذا فتاواه فأخبرني الذي أضحى عليها دائم الطوفان
بلغ الذي ألقاه منها عدة الأيام من شهر بلا نقصان
سفر يقابل كل يوم والذي قد فاتنى منها بلا حسبان

أي : إن فتاوله بلغت ثلاثين سفراً

هذا وليس يقصر التفسير عن عشر كبار ليس ذا نقصان
وكذا المفاريد التي في كل مسـ ـألة سفر واضح التبيان
مابين عشر أو تزيد بضعفها هي كالنجوم لسالك حيران
وله المقامات الشهيرة في الورى قد قامها لله غير جبان
نصر الاله ودينه وكتابه ورسوله بالسيف والبرهان
أبدى فضائحهم وبين جهلهم وأرى تناقضهم بكل مكان
وأصارهم والله تحت نعال أهـ ـل الحق بعد ملابس التيجان
وأصارهم تحت الحضيض وطالما كانوا هم الاعلام للبلدان
ومن العجائب أنه بسلاحهم أرداهم تحت الحضيض الداني

كانت نواصينا بأيديهم فما منّالهم إلا أسـيرعان
فغدت نواصيهم بأيدينا فلا يلقوننا الا بحبل أمان
وغدت ملوكهم مماليكا لأنـــصار الرسول بمنة الرحمن
وأتت جنودهم التي صالوابها منقادة لعساكر الايمان
يدري بهذا من له خبر بما قد قاله في ربه الفئتان
والقدم يوحشنا وليس هناكم فحضوره ،ومغيبه سيان

حاصل كلامه في هذا الفصل ذكربعض مؤلفات شيخه شيخ الاسلام وذكر بعض مناقبه ، وهي بحر لاساحل له. وقد أفردت المصنفات الكثيرة في مناقبه كـ«العقود الدرية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية» لتلميذه الحافظ محمد بن عبد الهادي في مجلد ، وعدد أسماء تصانيفه في نحو كراس ، ومناقبه لتلميذه ، أي حفص البزاز في كراسين ، وترجمته المفردة للحافظ ابي عبدالله الذهبي ، وهي غير تراجمه التي ذكرها في « تواريخه » وقد ذكره الشيخ أبو حفص عمر بن الوردي في « تاريخه » وأطنب في ترجمته ، وكذا ذكره الامام أبو العباس أحمد بن فضل الله العمري في تاريخه « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » وأسهب وأطنب ، والحافظ عماد الدين بن كثير في كتاب « البداية والنهاية » والحافظ أبوالفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب في « طبقات الحنابلة » والشيخ محمد بن شاكر في « ذيله على تاريخ ابن خلكان » والحافظ ابن حجر العسقلاي ، والامام ابن العماد في «شذرات الذهب » وغيرهم ،ومن أراد معرفة تصانيفه وعلومه العظيمة ، فليرجع الى هذه المصنفات يرفيها مايثلج صدره ، والله تعالى يغفر له ويرحمه ويجزيه عن الاسلام خيراً .

تنبيـــه : قد نبغ في آخر القرن الثامن رجل يقال له : علاء الدين محمد بن محمد البخاري ، تكلم في شيخ الاسلام بما هو من كلام الطغام [1] وأشباه الأنعام ، وزعم أن من سماه شيخ الاسلام فهو كافر ، وقد تصدي للرد عليه في هذه الضلالة ، وقبيح هذه المقالة : الشيخ الامام العلامة ، والمحدث الفهامة الحافظ أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الشافعي رحمه الله تعالى بكتاب سماه « الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الاسلام كافر » وقد أجاد فيه وأفاد ، وبلغ في إفحام الخصم الغاية والمراد ، وهو في مجلد لطيف ، وقد مدح هذا التأليف مشايخ الاسلام ، وقرظوه بما يشفي الأوام ، كشيخ الاسلام أمير المؤمنين في الحديث أحمد بن علي بن حجر العسقلاني صاحب « فتح الباري » وقاضي القضاة ، شيخ الاسلام صالح بن عمر البلقيني الشافعي ، والامام قاضي القضاة عبد الرحمن التفهني الحنفي ، و العلامة قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد البساطي المالكي ، والعلامة الحافظ قاضي القضاة نور الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي ، والامام الهمام العلامة الفهامة أحمد ابن نصر الله البغدادي الحنبلي ، والشيخ الامام العالم الهمام ابراهيم بن محمد الحلبي ، والشيخ الامام العلامة مفيد القاهرة رضوان بن محمد أبو النعيم .

قـــوله : والفدم . قال في « القاموس » الفدم : العيي عن الكلام في ثقل ورخاوة ، وقلة فهم ، والغليظ الاحمق الجافي ، جمع فدام ، وهي بهاء ، فدم ككرم ، فدامة ، وفدومة . انتهى .

---

(١) الطغام ، كسحاب : أوغاد الناس ، والأحمق :

فصل

في بيان أن المصيبة التي حلت بأهل التعطيل والكفران من جهة الأسماء التي ماأنزل الله بها من سلطان

ياقوم أصل بلائكم أسماء لم　　ينزل بها الرحمن من سلطان
هي عكستكم غاية التعكيس واقـتلعت　　ديار كم من الار كان
فتهدمت تلك القصور وأوحشـت　　منكم ربوع العلم والايمان
والذنب ذنبكم قبلتم لفظها　　من غير تفصيل ولا فرقان
وهي التي اشتملت على أمرين من　　حق وأمر واضح البطلان
سميتمُ عرش المهمين حيزاً　　والاستواء تحيزاً بمكان
وجعلتم فوق السموات العلى　　جهة وسقتم نفي ذا بوزان

يعني أن المصيبة والبلاء الذي حل بأهل التعطيل والكفران من جهة الاسماء التي ماأنزل الله بها من سلطان ، وذلك أنهم سموا عرش المهيمن سبحانه ، حيزاً، وسموا الاستواء تحيزاً وجهة . قال

وجعلتم الاثبات تشبيهاً وتجسـيما　　وهذا غاية البهتان
وجعلتم الموصوف جسماً قابل الـ　　اعراض والأكوان والألوان

وجعلتم أوصافه عرضاً وهـــذا كله جسر الى النكران

أي أنكم أيها المعطلة سميتم الاثبات تشبيهاً وتجسيماً ، وقلتم : إذا وصفتم الله بصفاته التي وصف بها نفسه ، ووصفه بها رسوله ، فقد قلتم بأن الله جسم قابل للأعراض ، وهي الألوان ونحوها ، والاكوان الأربعة ، ، وهي الاجتماع ، والافتراق ، والحركة ، والسكون . تعالى الله عن ذلك .

قـــال :

وكذاك سميتم حلول حوادث أفعاله تلقيب ذي عدوان

اذ تنفر الاسماع من ذا اللفظ نفـــرتها من التشبيه والنقصان

فكسوتم أفعاله لفظ الحوا دث ثم قلتم قول ذي بطلان

ليست تقوم به الحوادث والمرا د النفي للأفعال للديان

فاذا انتفت أفعاله وصفاته وكلامه وعلو ذي سلطان

فبأي شيء كان رباً عندكم يافرقة التحقيق والعـــرفان

والقصد نفي فعاله عنه بذا التـــلقيب فعل الشاعر الفتان

وكذاك حكمة ربنا سميتم عللا وأغراضاً وذان اسمان

لايشعران بمدحه بل ضدها فيهون حينئذ على الاذهان

نفي الصفات وحكمة الخلاق والـــ أفعاله إنكاراً لهذا الشان

وكذا استواء الرب فوق العرش قلـــتم إنه التركيب ذو بطلان

وكذاك وجه الرب جل جلاله وكذاك لفظ يد ولفظ يدان

سميتمُ ذا كله الاعضاء بل سميتموه جوارح الانسان
وسطوتم بالنفي حينئذ عليـــه كنفينا للعيب مع نقصان
قلتم ننزهه عن الاعراض والـــأغراض والابعاض والجثمان
وعن الحوادث أن تحل بذاته سبحانه من طارق الحدثان
والقصد نفي صفاته وفعاله والاستواء وحكمة الرحمن

يعني الناظم رحمه الله تعالى أن المعطلة سموا صفات الرب سبحانه وتعالى أعراضاً ، وسموا حكمته أغراضاً وعللاً، وسموا إثبات وجهه ويده أو يديه سبحانه أبعاضاً ، وقالوا : سبحانه وتعالى منزه عن الأعراض والأغراض والابعاض ، وكذا سموا قيام أفعاله به سبحانه حلول الحوادث ، وذلك كله لأجل التشنيع على من تبع مذهب السلف الذي دل عليه صحيح المنقول وصريح المعقول . ولهذا قال الناظم ، فاذا انتفت أفعاله وكلامه وصفاته وعلوه على عرشه ، فبأي شيء كان رباً عندكم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

والناس أكثرهم بسجن اللفظ محـــبوسون خوف معرة السجان
والكل إلا الفرد يقبل مذهباً في قالب ويرده في ثان
والقصد أن الذات والاوصاف والـــأفعال لاتنفى بذا الهذيان
سموه ماشئتم فليس الشأن في الـــأسماء بل في مقصد ومعان
كم ذا توسلتم بلفظ الجسم والتـــجسيم للتعطيل والكفران
وجعلتموه الترس ان قلنا لكم الله فوق العرش والاكوان

قلتم لنا جسم على جسم تعـا   لى الله عن جسم وعن جثمان

و كذاك ان قلنا القران كلامه   منه بدا لم يبد من انسان

كلا و لا ملك ولا لوح و لا   كن قاله الرحمن قول بيان

تقدم معنى أن الكلام بدا منه تعالى، ومعنى بدايته

قلتم لنا إن الكلام قيامه   بالجسم أيضاً وهو ذو حدثان

عرض يقوم بغير جسم لم يكن   هذا بمعقول لدى الأذهان

أي : قالت النفاة إذا قلتم : إن كلام الله تعالى بدا منه ، لم يبد من انسان ولا ملك ، ولا من اللوح المحفوظ. «فتقول النفاة : الكلام عرض ، والعرض لا يقوم بغير جسم، فكلامكم أيها المثبتة غير معقول

وكذاك حين نقول ينزل ربنا   في ثلث ليل آخر أو ثان

قلتم لنا إن النزول لغير أجـ   ـسام محال ليس ذا إمكان

و كذاك ان قلنا يرى سبحانه   قلتم أجسم كي يرى بعيان

أي إذا قلنا : إنه سبحانه يرى في الآخرة ، قالت المعطلة : يلزم أنه جسم ، وأن له جهة

أم كان ذا جهة تعالى ربنا   عن ذا فليس يراه من انسان

أما اذا قلنا له وجه كما   في النص أو قلنا كذاك يدان

و كذاك ان قلنا كما في النص إن القلب   بين أصابع الرحمن

وكذاك إن قلنا الاصابع فوقها   كل العوالم وهي ذو رجفان

وكذاك ان قلنا يداه لأرضه وسمائه في الحشر قابضتان
وكذاك ان قلنا سيكشف ساقه فيخر ذاك الجمع للاذقان
وكذاك ان قلنا يجيء لفصله بين العباد بعدل ذي سلطان
قامت قيامتكم كذاك قيامة الـ آتي بهذا القول في الرحمن

أي : إذا قلنا : إن له تعالى وجهاً كما ورد به النص كما يليق بجلاله، أو قلنا : إن له سبحانه يدين، أو قلنا كما في النص : «ان القلب بين أصابع الرحمن » أو أن الاصابع فوقها العوالم، وانه يقبض أرضه وسماءه في الحشر، وأنه سيكشف عن ساق ، وأنه سبحانه يجيء لفصل القضاء وغير ذلك مما في كتاب الله ، أو في صحيح السنة ، وحسنها ، من غير تشبيه ، ولا تمثيل ، ولا تحريف ، ولا تعطيل ؛ قامت قيامتكم ، ورميتمونا بكل حجر ومدر .

ولنبسط الكلام في الوجه واليدين ، فنقول : وجه الرب سبحانه حيث ورد في الكتاب والسنة ، فليس بمجاز ، بل على حقيقته . واختلف المعطلة في جهة التجوز في هذا . فقالت طائفة : لفظ الوجه زائد ، والتقدير : (ويبقى ربك) (إلا ابتغاء ربه الأعلى) ويريدون ربهم . وقالت فرقة : الوجه بمعنى الذات ، وهذا قول أولئك وان اختلفوا في التعبير عنه . وقالت فرقة: ثوابه وجزاؤه ، فجعله هؤلاء مخلوقاً منفصلاً، قالوا : لأن الذي يراد هو الثواب. قال عثمان بن سعيد الدرامي : وقد حكى قول المريسي انه قال في قول النبي ﷺ « اذا قام العبد يصلي أقبل الله عليه بوجهه » يحتمل أن يقبل الله عليه بنعمته وإحسانه وأفعاله ، وما أوجب للمصلي من الثواب . فقوله : (ويبقى وجه ربك) الرحمن: ٢٦ أي : ماتوجه به ربك من الأعمال الصالحة .

وقوله: (فأينما تولوا فثم وجه الله) البقرة :١١٥ أي : قبلة الله . قال الدارمي : لما فرغ المريسي من إنكار اليدين ونفيهما عن الله ، أقبل قبل وجه الله ذي الجلال والإكرام لينفيه عنه ، كما نفى عنه اليدين ، فلم يدع غاية في إنكار وجه الله ذي الجـــلال والإكرام والجحود به ، حتى ادعى أن وجه الله الذي وصفه بأنه ذو الجلال والإكرام مخلوق، لأنه ادعى انه أعمال مخلوق ، يتوجه بها إليه ، وثواب وإنعام مخلوق يثيب به العامل ، وزعم أنه قبلة الله ، وقبلة الله لاشك مخلوقة ، ثم ساق الكلام في الرد عليه . وذكر الخطابي والبيهقي وغيرهما قالوا : لما أضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت الى الوجه فقال: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) الرحمن: ٣٧ دل على أن ذكر الوجه ليس بصلة ، وأن قوله (ذو الجلال والإكرام) صفة للوجه ، وأن الوجه صفة للذات .

قال الناظم في « الصواعق » : فتأمل رفع قول (ذو الجلال والإكرام) عند ذكر الوجه ، وجره في قول (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) الرحمن :٨٧ فذو الوجه المضاف بالجلال والإكرام، لما كان القصد الاخبار عنه ، وذي الوجه المضاف اليه بالجلال والإكرام في آخر السورة ، لما كان المقصود عين المسمى دون الاسم ، فتأمله .

ثم استدل رحمه الله تعالى على إبطال هذه التـأويلات بأوجه ، منها أنه لايعرف في لغة من لغات الأمم وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه ، وغاية ماشبه به المعطل وجه الرب أن قال: هو كقول القائل وجه الحائط ، ووجه الثوب ، ووجه النهار ، فيقال للمعطل المشبه به : ليس الوجه في ذلك بمعنى الذات ، بل هذا مبطل ، لقولك : فان وجه الحائط أحد جـانبيه ، فهو مقابل لدبره ، ومثل هذا وجه الكعبة ودبرها ، فهو وجه حقيقة ، ولكنه بحسب المضاف

اليه ، فلما كان المضاف اليه بناء ، كان وجهه من جنسه ، وكذلك وجه الثوب أحد جانبيه ، وهو من جنسه ، وكذلك وجه النهار أوله ، ولا يقال لجميع النهار . وقال ابن عباس : وجه النهار أوله ، ومنه قولهم : صدر النهار . قال ابن الاعرابي : أتيته بوجه نهار ، وصدر نهار ، وأنشد للربيع بن زياد

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

ومنها أن حمله على الثواب المنفصل من أبطل الباطل . فان اللغة لا تحتمل ذلك ، ولا يعرف أن الجزاء يسمى وجهاً للمجاز . وأيضاً فالثواب مخلوق ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه استعاذ بوجه الله فقال « أعوذ بوجهك الكريم أن تضلني ، لا إله الا أنت الحي الذي لا يموت ، والجن والانس يموتون » رواه أبو داود وغيره . ومن دعائه يوم الطائف « أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة » ولا يظن برسول الله ﷺ أن يستعيذ بمخلوق .

ومنها أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه : « أسألك لذة النظر الى وجهك ، والشوق الى لقائك » ولم يكن ليسأل لذة النظر الى ثواب المخلوق ، ولا يعرف تسمية ذلك وجهاً لغة ، ولا شرعاً ، ولا عرفاً .

ومنها أن النبي ﷺ قال : « من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بوجه الله فأعطوه » وفي « السنن » من حديث جابر عن النبي ﷺ قال « لا ينبغي لأحد أن يسأل بوجه الله الا الجنة » فكان طاوس يكره أن يسأل الانسان بوجه الله .

وروى مسلم في « صحيحه » من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ،

يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور ، لو كشفة لأحرقت سبحات وجهه ماانتهى اليه بصره من خلقه » .

ومنها قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور السموات والأرض من نور وجهه . فهل يصح أن يحمل الوجه في هذا على مخلوق ؟ أو يكون صلة لا معنى له ؟ أو يكون بمعنى القبلة والجهة ؟ وهذا مطابق لقوله عليه السلام « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات » فأضاف النور الى الوجه ، والوجه الى الذات ، واستعاذ بنور الوجه الكريم ، فعلم أن نوره صفة له ، كما أن الوجه صفة ذاتية ، وهو الذي قاله ابن مسعود ، وهو تفسير قوله (الله نور السموات والأرض) النور : ٣٥ فلا تشتغل بأقوال المتأخرين الذين غشت بصائرهم عن معرفة ذلك ، فخذ العلم عن أهله ، فهذا تفسير الصحابة رضي الله عنهم .

ومنها أن الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعين ، وجميع أهل السنة ، والحديث ، والأئمة الأربعة ، وأهل الاستقامة من أتباعهم ، متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة ، وهي الزيادة التي فسر بها النبي ﷺ والصحابة (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) . يونس: ٢٦

فروى مسلم في « صحيحه » عن النبي ﷺ في قوله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يونس : ٢٦ قال : النظر الى وجه الله تعالى ، فمن أنكر حقيقة الوجه ، لم يكن للنظر عنده حقيقة ، ولا سيما إذا أنكر الوجه والعلو ، فيعود النظر عنده الى خيال مجرد ، وان أحسن العبارة قال : هو معنى يقوم بالقلب ، نسبته اليه كنسبة النظر الى العين ، وليس في الحقيقة عنده نظر ، ولا وجه ، ولا لذة تحصل للناظر .

ومنها أن تفسير وجه الله بقبلة الله ، وان قاله بعض السلف ، كمجاهد ، وتبعه الشافعي ، فانما قالوه في موضع واحد لاغير ، وهو قوله تعالى (والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجـــه الله) البقرة : ١١٥ فهب أن هذا كذلك في هذا الموضع ، فهل يصح أن يقال ذلك في غيره من المواضع التي ذكر الله تعالى فيها الوجه ؟ فما يفيدكم هذا في قوله (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) الرحمن : ٣٧ وقوله (الا ابتغاء وجه ربه الأعلى) الليل : ٢١ وقوله (إنما نطعمكم لوجه اللـه) الدهر : ١٠ على أن الصحيح في قوله (فثم وجه الله) البقرة : ١١٥ انه كقوله في سائر الآيات التي فيهـا ذكر الوجه ، فانه قد اطرد مجيئه في القرآن والسنة مضافاً الى الرب تعالى على طريقة واحدة ، ومعنى واحد ، فليس فيه معنيان مختلفان في جميع المواضع ، غير الموضع الذي ذكره في سورة البقرة ، وهو قوله (فثم وجه الله) ، وهذا لايتعين حمله على القبلة أو الجهة ، ولا يمنع أن يراد به وجه الرب حقيقة ، فحمله على موارده ونظائره كلها أولى ،

ومنهـا أنه لايعرف إطلاق وجه الله على القبلة لغة ، ولا شرعاً ، ولا عرفاً ، بل القبلة لها اسم يخصها ، والوجه له اسم يخصه ، فلا يدخل أحدهمـا على الآخر ، ولا يستعار اسمه له . نعم القبلة تسمى وجهة ، كما قال تعـــالى (ولكل وجهة هو موليهـا فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا) البقرة : ١٤٨ وقد تسمى جهة ، وأصلها وجهة ، لكن أعلت بحذف فائها ، كزنة ، وعدة . وإنما سميت قبلة ، ووجهة ، لأن الرجل يقابلها ويواجهها بوجهه . وأما تسميتها وجهاً فلا عهد به ، فكيف إذا أضيف الى الله تعالى ؟ مع أنه لايعرف تسمية القبلة وجهة الله في شيء من الكلام ، مع أنها تسمى وجهة ، فكيف يطلق عليهـا وجه الله ؟ ولا يعرف تسميتها وجهاً . وايضاً فمن المعلوم أن قبلة الله

التي نصبها لعباده هي قبلة واحدة ، وهي القبلة التي أمر الله عباده أن يتوجهوا اليهـــا حيث كانوا لا كل جهة يولي وجهه اليها ، فانه يولي وجهه الى المشرق والمغرب والشمال وما بين ذلك ، وليست تلك الجهات قبلة الله ، فكيف يقال : أي وجهة وجهتموها واستقبلتموها فهي قبلة الله . فان قيل : هذا عند اشتباه القبلة على المصلي ، وعند صلاته النافلة في السفر . قيل : اللفظ لا شعار له بذلك البتة بل هو عام مطلق في الحضر والسفر ، وحـــال العلم والاشتباه ، والقدرة والعجز . يوضحه أن إخراج الاستقبال المفروض ، والاستقبال في الحضر وعند العلم ، والقدرة وهو أكثر أحوال المستقبل ، وحمل الآية على استقبال المسافر في التنقل على الراحلة وحال الغيم ونحوه بعيد جداً عن ظاهر الآية وإطلاقها وعمومها ، وما قصد بها ، فان (أين) من أدوات العموم ، وقد أكد عمومها بما أراده لتحقيق العموم ، كقوله (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) البقرة : ١٥٠ والآية صريحة في أنه أينما ولى العبد فثم وجه الله من حضر ، أو سفر في صلاة وغيرها ، وذلك أن الآية لا تعرض فيها للقبلة ، ولا لحكم الاستقبال ، بل سياقها لمعنى آخر ، وهو بيان عظمة الرب تعـــالى وسعته ، وأنه أكبر من كل شيء ، وأعظم منه ، وأنه محيط بالعالم العلوي والسفلي ، فذكر في أول الآية إحاطة ملكه في قوله (ولله المشرق والمغرب) البقرة ١١٥ منبهاً بذلك على ملكه لما بينهما ، ثم ذكر عظمته سبحانه ، وأنه أكبر وأعظم من كل شيء ، فأينما ولى العبد وجهه ، فثم وجه الله ، ثم ختم باسمين دالين على السعة والاحاطة ، فقال (ان الله واسع عليه) فذكر اسمه الواسع عقيب قول (فأينما تولوا فثم وجه الله) كالتفسير والبيان والتقرير له ، فتأمله ، فهذا السياق لم يقصد به الاستقبال في الصلاة بخصوصه وإن دخل في عموم الخطاب حضراً وسفراً بالنسبة الى الفرض والنفل ، والقدرة والعجز ،

وعلى هذا فالآية باقية على عمومهـــا ، وأحكامها ليست منسوخة ، ولا مخصوصة ، بل لا يصح دخول النسخ فيها ، لأنهـا خبر عن ملكه للمشرق والمغرب ، وأنه أينما ولى الرجل وجهه فثم وجـه الله ، وعن سعته وعلمه ، فكيف يمكن دخول النسخ والتخصيص في ذلك ؟! وأيضاً هذه الآية ذكرت مع ما بعدها لبيان عظمة الرب والرد على من جعل له عدلاً من خلقه الشركة معه في العبادة ؛ ولهذا ذكرها بعد الرد على من جعل له ولداً فقال تعالى : (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل له مافي السموات والأرض) الى قوله (كن فيكون) البقرة : ١١٦-١١٧ فهذا السياق لا تعرض فيه للقبلة ، ولا سيق الكلام لأجلها ، وإنما سيق لذكر عظمة الرب وبيان سعة علمه وحلمه ، والواسع من أسمائه ، فكيف تجعلون له شريكاً بسببه وتمنعون بيوته ومساجده أن يذكر فيها اسمه ، تسعون في خرابها ؟ ! فهذا للمشركين ، ثم ذكر مانسبه اليه النصارى ، من اتخاذ الولد ، ووسط بين كفر هؤلاء وقوله تعالى (ولله المشرق والمغرب) البقرة : ١١٥ فالمقام مقام تقرير لأصول التوحيد والايمان ، والرد على المشركين ، لا بيان فرع معين جزئي .

ومنها أنه لو أريد بالوجه في الآية الجهة والقبلة ، لكان وجه الكلام ان يقال : فأينما تولوا فهو وجه الله ، لأنه إذا كان المراد بالوجه الجهة ، فهي التي تولي نفسها ، وانما يقال : ثم كذا اذا كان أمران ، كقوله تعالى (واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكاً كبيراً) الدهر : ٢٠ فالنعيم والملك ، ثم لا أنه نفس الظرف ، والوجه لو كان المراد به الجهة نفسها ، لم يكن ظرفاً لنفسها ، فان الشيء لا يكون ظرفاً لنفسه ، فتأمله . ألا ترى أنك إذا أشرت الى جهة الشرق والغرب لا يصح أن تقول : ثم جهة الشرق ، ثم جهة الغرب ، بل تقول : هذه جهة الشرق ، وهذه جهة الغرب . ولو قلت :

هناك جهة الشرق والغرب ، لكان ذكر الظرف لغواً ، وذلك لأن (ثم) إشارة الى المكان البعيد ، فلا يشار بها الى قريب ، والجهة والوجهة مما يحاذيك الى آخرها ، فجهة الشرق ، والغرب ، ووجهة القبلة ، مما يتصل الى حيث ينتهي ، فكيف يقال فيها ثم اشارة الى البعيد ؟ ! بخلاف الاشارة الى وجه الرب تبارك وتعالى ، فإنه يشار الى ذاته ، ولهذا قال غير واحد من السلف : فثم الله تحقيقاً ، لأن المراد وجهه الذي هو من صفات ذاته ، والاشارة اليه بأنه ثم كاشارة اليه بأنه فوق سمواته ، وعلى العرش ، وفوق العالم .

ومنها أن تفسير القرآن بالقرآن هو أولى التفاسير ماوجد إليه السبيل ، ولهذا كان يعتمده الصحابة والتابعون والأئمة بعدهم ، والله تعالى ذكر في القرآن القبلة باسم القبلة والوجوه ، وذكر وجهه الكريم باسم الوجه المضاف اليه ، فتفسيره في هذه الآية بنظائره هو المتعين .

ومنها أنك إذا تأملت الأحاديث الصحيحة ، وجدتها مفسرة للآية ، مشتقة منها ، كقوله ﷺ : « اذا قام أحدكم الى الصلاة فانما يستقبل ربه » وقوله : « فان الله يقبل اليه بوجهه عنه » وقوله « اذا قام أحدكم الى الصلاة فلا يبصقن قبل وجهه » وقوله : « فان الله بينه وبين القبلة » وقوله : « ان الله يأمركم بالصلاة ، فاذا صليتم فلا تلتفتوا ، فان الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته مالم يلتفت » رواه ابن حبان في « صحيحه » والترمذي وقال : « ان العبد إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم قام الى الصلاة أقبل الله عليه بوجهه ، فلا ينصرف عنه حتى ينصرف ، أو يحدث حدث سوء » وقال جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « إذا قام العبد يصلي أقبل الله عليه بوجهه ، فاذا التفت أعرض الله عنه » وقال : « يابن آدم أنا خير ممن تلتفت

اليه ، فاذا أقبل على صلاته أقبل الله عليه ، فاذا التفت أعرض الله عنه » انتهى كلام الناظم باختصار .

قـــوله : وكذلك لفظ يد ولفظ يدان . قال تعالى (بل يداه مبسوطتان) المائدة: ٦٤ قالت الجهمية ومن تبعهم : هذا مجاز في النعمة أو القدرة، وهذا في الأصل قول الجهمية ، وتبعهم المعتزلة وبعض المتأخرين ممن ينتسب الى الأشعري ، والأشعري وقدماء أصحابه يردون على هؤلاء ، ويبدعونهم، ويثبتون اليد حقيقة . قال عبد العزيز بن يحيى الكناني المالكي جليس الشافعي والخصيص به وقد مات قبل الامام أحمد ـ في كتاب الرد على الجهمية والزنادقة ـ قـــال : يقال للجهمي : أتقول : إن لله وجهاً ، وله نفس ، وله يد ، فيقول : نعم ، ولكن معنى وجه الله هو الله ، ومعنى نفسه عينه ، ومعنى يده نعمته . قـــال : والجواب أن يقال له ، فذكر كلاماً يتعلق بالوجه والنفس ، ثم قال : وأما قوله في اليد : انها يد النعمة كما تقول العرب : لك عندي يد ، فقد قال الله تعالى (بيدك الخير) آل عمران : ٢٦ وقال : (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) يس :٨٣ وقال : (تبارك الذي بيده الملك) الملك : ١ وقال : (يد الله فوق أيديهم) الفتح : ١٠ وقال : (بل يداه مبسوطتان) المائدة : ٦٤ ،قال : فزعم الجهمي أن يد الله نعمته ، فبدل قولا غير الذي قيل له ، فأراد الجهمي أن يبدل كلام الله ، إذ أخبر الله أن له يداً بها ملكوت كل شيء ، فبدل مكان اليد نعمة ، وقال: العرب تسمي اليد نعمة . قلنا : له العرب تسمي النعمة يداً ، وتسمي يد الانسان يداً ، فاذا أرادت يد الذات ، جعلت على قولها علماً ودليلاً يعقل به السامع أنها أرادت يد الذات، وإذا أرادت يد النعمة ،

جعلت على قولها علماً ودليلاً يعقل السامع كلامها أنها تريد يد النعمة ، ولا تجعل كلامها مشتبهاً على سامعه ، ومن ذلك قول الشاعر :

ناولت زيداً بيدي عطية يـــدبها رمى كتاباً مخضب[1]

فدل بهذا القول على يد الذات بالمناولة .. ، وبالباء حين قال (بيدي) فجعل الباء استقصاء للعدد حين لم يكن له غير يدين . وقـــال الآخر حين أراد يد النعمة :

اشكر يدين لناعليك وأنعما شكراً يكون مكافياً للمنعم

فدل على يد النعمة بقوله : لنا عليك ، ثم قـــال : وأنعما ، ثم قال يدين ، فجعل النون مكان الياء ، لم يستقص بها العدد ، فهذا قول العرب ومذهبها في لغاتها ، والله تعالى لم يسم في كتابه يداً بنعمة ، ولم يسم نعمة يداً ، سمى سبحانه اليد يداً ، والنعمة نعمة في جميع القرآن ، فأما ماذكره سبحانه من يدين ويد ، فقد ذكرت ذلك في صدر الكلام . وأما النعمة التي هي عن اليد ، فمن ذلك قوله : (واذكروا نعمة الله عليكم) آل عمران : ١٠٣ وقولـــه : (وما بكم من نعمة فمن الله) النحل : ٥٣ وقولـــه : (وأتممت عليكم نعمتي) المائدة : ٤ وقوله (واذتقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه) الأحزاب : ٣٧ فسمى الله النعم باسم النعمة ، ولم يسمها بغير أسمائها ، ومثل هذا في القرآن كثير ، وذكر الله تعالى أيدي المخلوقين فسماها بالأيدي ، فقال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) الأسراء : ٢٩ و قـــال تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) المائدة : ٣٨ وقـــال : (والملائكة باسطوا أيديهم) الأنعام : ٩٣ فهذه أيد لا نعمة ، وذكر نعمته على يد ، ونعمة النبي ﷺ ، فسماها نعمة ، ولم يسمها يداً ، ثم أخبر سبحانه عن يديه أنهما يدان لا ثلاثة ، وجعل الباء استقصاء للعدد

(١) هذا البيت لم يكن ظاهراً في الأصل ، وكذلك وجدناه في «الصواعق المرسلة» للناظم غير منقوط ، ولم يتبين لنا صوابه ، ولعله كما أثبتناه .

حين قال : (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي) ص : ٧٥ فدل على أنهما يدي الذات ، لايتعارف العرب في لغاتها ولا أشعارها الا أن هاتين اليدين ، يدي الذات ، لاستقصاء العدد بالباء ، وأما نعم الله فهي أكثر وأعظم من أن تحصر أو تعد كما قال تعالى (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) ابراهيم : ٣٤

قـــال : واعلم رحمك الله أن قائل هذه المقالة جاهل بلغة القرآن ، وبلغة العرب ومعانيها وكلامها ، وذلك أن الله اذا افتتح الخبر عن نفسه بلفظ الجمع ، ختم الكلام بلفظ الجمع ، واذا افتتح الكلام بلفظ الواحد ، ختم الكلام بلفظ الواحد ، وانما يغني الخبر عن نفسه ، وان كان اللفظ جمعاً ، فأما ما كان من لفظ الواحد ، فهو قوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) الأسراء : ٢٣ فافتتح الخبر عن نفسه بلفظ الواحد ، وبمثله ختم الكلام فقال : (ألا تعبدوا إلا إياه) الاسراء : ٢٣ وقـــال (رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) الأسراء : ٢٤ وقال (ربكم أعلم بكم) الاسراء : ٢٥ وأما ماافتتحه بلفظ الجمع ، فهو قـــوله : (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب) الاسراء : ٤ فافتتحه بلفظ الجمع ، ثم ختمه بمثل ماافتتحه به فقال (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا) الاسراء : ٥ وانما عنى بذلك نفسه ، لأنها كلمة ملوكية تقولها العرب ، وروي ان ابن عباس لقي أعرابياً ومعه ناقة ، فقال : لمن هذه ؟ فقال الاعرابي : لنا . فقال له ابن عباس : كم أنتم ؟ فقال : أنا واحد . فقال ابن عباس : هكذا قول الله تعالى (نحن) و (خلقناه) و (قضينا) انما يعني نفسه ، والمبهم يرد الى المحكم ، فكل كلمة في القرآن من لفظ جمع قبلها محكم من التوحيد ترد اليه ، فمن ذلك قوله : (وقضينا الى بني اسرائيل) الأسراء : ٤ يرد الى قـــوله : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا اياه) الاسراء : ٢٣ وقوله : (وخلقناكم أزواجاً) النبأ : ٨ يرد الى قـــوله : (انما أمره) يس : ٨٢ وقوله

(لما جاء أمر ربك) هود : ١٠١ وكذلك قوله (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً) يس : ٣١ يرد الى قوله (لما خلقت بيدي) ص : ٧٥ فلما افتتح الكلام بلفظ الجمع فقال : (أولم يروا أنا خلقنا لهم) يس : ٣١ قال (أيدينا) ولما افتتح بقوله : (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي) ص : ٧٥ ختم الكلام على ماافتتحه به ، فهذا بيان لقوم يفقهون . وقد كان أكثر قسم النبي ﷺ اذا أقسم أن يقول : « لا والذي نفس محمد بيده » وهذا لايليق به النعمة ، وهذا قول النبي ﷺ يصدق كتاب الله . انتهى كلامه . والاشعري في كتبه يصرح باثبات الصفات الخبرية في كتبه كلها ، ومعلوم أن أحداً لا ينكر لفظها ، وإنما أنكروا حقائقها ومعانيها الظاهرة ، وكلام الأشعري موجود في « الابانة » و« الموجز » و« المقالات » وموجود في تصانيف أئمة أصحابه ، وأجلهم على الاطلاق القاضي أبو بكر بن الطيب ، وقد ذكر ذلك في كتاب « الابانة » و« التمهيد » وغيرهما ، وذكره ابن فورك فيما جمعه من كلام ابن كلاب ، وكلام الاشعري ، وذكره البيهقي في « الأسماء والصفات » و« الاعتقاد » وذكره ابو القاسم القشيري في كتاب « الشكاية » له ، وذكره ابن عساكر في كتاب « تبيين كذب المفتري » حتى الفخر الرازي والسيف الآمدي حكوا ذلك عن الأشعري ، وأنه أثبت اليدين صفة لله ، ولكن غلطوا حيث ظنوا أن له قولين في ذلك ، وهذه كتبه كلها ليس فيها الا الاثبات ، فهو الذي يحكيه عن أهل السنة ، وينصره ، ويحكي خلافه عن الجهمية والمعتزلة . نعم كان قبل ذلك يقول بقول المعتزلة ، ثم رجع عنه ، وصرح بمخالفتهم ، واستمر على ذلك حتى مات . قال أبو الحسن الأشعري في كتاب « الابانة » الذي ذكر ابن عساكر أنه آخر كتبه ، وعليه اعتمد في ذكر مناقبه واعتقاده . قال : فان سألنا سائل فقال : أتقولون : إن لله يدين ؟

قيل : نعم ، نقول ذلك لقول الله تعالى (يد الله فوق أيديهم) الفتح : ١٠ ولقوله ﷺ « خلق الله آدم بيده ، وغرس جنة عدن بيده » وقال تعالى (بل يداه مبسوطتان) المائدة: ٦٤ وفي الحديث « كلتا يديه يمين » وليس يجوز في لسان العرب ، ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل : عملت كذا وكذا بيدي ، وهو بمعنى النعمة ، اذا كان الله خاطب العرب بلغاتها ، وما تجده مفهوماً في كلامها ، ومعقولاً في خطابها ، واذ لا يجور في خطابها أن يقول القائل: فعلت بيدي؛ ويعني النعمة ، بطل أن يكون معنى بيدي النعمة ، وساق الكلام في إنكار هذا التأويل وأطاله جداً ، وقرر أن لفظ اليدين على حقيقته ، وظاهره ، وبين أن اللغة التي نزل بها القرآن لاتحتمل ماتأولته الجهمية . وقال لسان أصحابه وأجلهم أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في كتاب « التمهيد » وهو أشهر كتبه : فان قال القائل : فما الحجة في أن لله وجهاً ويدين ؟ قيل : قوله تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) الرحمن: ٣٧ وقوله (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي) ص : ٧٥ فأثبت لنفسه وجهاً ويدين ، فان قالوا : انما أنكرتم أن يكون المعنى : خلقت بيدي ، أنه خلقه بقدرته ؛ لأن اليدين في اللغة تكون بمعنى النعمة ، وبمعنى القدرة ، كما يقال : لفلان عندي يد بيضاء ، وهذا الشيء في يد فلان ، وتحت يده ، ويقال : رجل أيد ، اذا كان قادراً كما قال تعالى (خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً) يس : ٣١ يريد: عملنا بقدرتنا .

وقال الشاعر :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

وكذلك قوله (خلقت بيدي) ص: ٧٥ يعني بقدرته ونعمته. قال : فيقال له : هذا باطل ، لأن قوله (بيدي) يقتضي إثبات يدين هما صفة له ؛ فلو

كان المراد بها القدرة، لوجب أن يكون له قدرة ، ولا تزعمون أن لله تعالى قدرة واحدة ، فكيف يجوز أن تثبتوا قدرتين ؟! وقد أجمع المسلمون المثبتون للصفات والنافون لها على أنه لايجوز أن يكون لله تعالى قدرتان ، فبطل ماقلتم ، و كذلك لايجوز أن يكون خلق الله آدم بنعمتين ، لأن نعم الله تعالى على آدم وغيره لاتحصي ، ولأن القائل لايجوز أن يقول : رفعت الشيء ، أو وضعته بيدي ، أو توليته بيدي ، وهو يريد نعمته ، و كذلك لايجوز أن يقال : لي عند فلان يدان ، يعني نعمتين ، وانما يقال : لي عنـــده يدان بيضاوان ، ولأن : فعلته بيدي ، لايستعمل الا في اليد التي هي صفة الذات ، ويدل على فساد تأويلهم أيضاً أنه لو كان الأمر على ما قالوه ، لم يغفل عن ذلك إبليس ، وأن يقول : وأي فضل لآدم علي يقتضي أن أسجد له ، وأنا أيضاً بيدك خلقتني ؟! وفي العلم أن الله تعالى فضل آدم عليه بخلقه بيديه ، دليل على فساد ماقالوه . فان قال القائل : فما أنكرتم أن يكون يده ووجهه جارحة ، إذ كنتم لا تعقلون يداً ووجهاً هما صفة الجارحة ، قلنا : لايجب ذلك ، كما لايجب اذا لم نعقل حياً عالماً قادراً إلا جسماً أن نقضي نحن وأنتم ذلك على الله ، وكما لايجب اذا كان قائماً بذاته أن يكون جوهراً ، لأنا وإياكم لم نجد قائماً بنفسه في شاهدنا إلا كذلك ، و كذلك الجواب لهم ان قالوا : فيجب أن يكون علمه ، و كلامه ، وحياته ، وسائره صفات ذاته أعراضا ، أو أجساماً ، أجناساً ، أو حوادث ، أو اغياراً له تعالى ، ومحتاجة الى قلب . انتهى .

والله لو قلنا الذي قال الصحا به والألى من بعدهم بلسان

لرجمتمونا بالحجارة ان قدر تم بعد رجم الشتم والعدوان

والله قد كفرتمُ من قال بعـــض مقالهم يا أمة العدوان

وجعلتم الجسم الذي قدّرتمُ بطلانه طاغوت ذي البطلان
ووضعتمُ للجسم معنىً غير معـــروف به في وضع كل لسان
وبنيتم نفي الصفات عليه فاجـــتمعت لكم إذ ذاك محذوران
كذب على لغة الرسول ونفي اثـــبات العلو لفاطر الاكوان

أي: إنكم أيها المعطلة، وضعتم للجسم معنى غير معناه المعروف في لغة العرب، وسميتم كل ماهو مركب من المادة والصورة، أو من الجواهر المنفردة، أو مايقبل الاشارة الحسية جسماً، وليس هذا معنى الجسم في لغة الصحابة التي جاء بها القرآن، كما قال الجوهري في «صحاحه المشهورة» قال أبو زيد: الجسم الجسد؛ وكذلك الجسمان، والجثمان. وقـــال الأصمعي: الجسم والجسمان: الجسد، والجثمان، والشخص. قال: والأجسم: الضخم البدن.

قال شيخ الاسلام في كلامه على حديث النزول: وقد ادعى طوائف من النفاة أهل الكلام أن الجسم في اللغة هو المؤلف المركب، وأن استعمالهم لفظ الجسم في كل مايشار اليه موافق للغة، قالوا: لأن كل مايشار اليه، فانه يتميز منه شيء عن شيء، وكل ما كان كذلك، فهو مركب من الجواهر المنفردة التي كل واحد منها جزء لايتجزأ، ولا يتميز منه جانب عن جانب، أو من المادة والصورة اللذين هما جوهران عقليان، كما يقول ذلك بعض الفلاسفة، قالوا: واذا كان هذا مركباً مؤلفاً، فالجسم في لغة العرب هو المؤلف المركب، بدليل أنهم يقولون: رجـل جسيم، وزيد أجسم من عمرو، إذ أكثر ذهابه في الجهات، ليس يقصدون بالمبالغة في قولهم: أجسم وجسيم الا لمن كثرت الأجزاء المتضمة والتأليف، لأنهم لايقولون: أجسم فيمن كثرت علومه، وقدره، وسائر تصرفـاته، غير الاجتماع، حتى إذا

كثر الاجتماع فيه بتزايد أجزائه قيل : أجسم ، ورجل جسيم ، فدل ذلك على أن قولهم : جسم يفيد التأليف ، فهذا أصل قول هؤلاء النفاة ، وهو مبني على أصلين : سمعي لغوي ، ونظري عقلي فطري ، أمـــا السمعي اللغوي ، فقولهم : ان أهل اللغة يطلقون لفظ الجسم على المركب ، وهم استدلوا عليه بقولهم : هو أجسم اذا كان أغلظ وأكثر ذهاباً في الجهات ، وإن هذا يقتضي أنهم اعتبروا كثرة الأجزاء .فيقال : أما المقدمة الأولى، وهو أن أهل اللغة يسمون كل ما له مقدار بحيث يكون أكبر من غيره أو أصغر جسماً ، فهذا لا يوجد في لغة العرب البتة ، ولا يمكن أحـداً أن ينقل عنهم أنهم يسمون الهواء الذي بين السماء والأرض جسماً ؛ ولا يسمون روح الانسان جسماً ، بل من المشهور أنهم يفرقون بين الجسم والروح ، ولهذا قال تعـالى (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) المنافقون : ٤ يعني أبدانهم دون أرواحهم الباطنة، وقد ذكر نقلة اللغة أن الجسم عندهم هو الجسد ، ومن المعروف في اللغة أن هذا اللفظ يتضمن الغلظ والكثافة ، فلا يسمون به الأشياء القائمة بنفسها اذا كانت لطيفة ، كالهواء ، وروح الانسان ، وان كان لذلك مقدار ، يكون بعضه أكبر من بعض ، لكن لا يسمى في اللغة ذلك جسماً ؛ ولا يقولون في زيادة أحدهما على الآخر : هذا أجسم من هذا ، ولا يقولون : هذا المكان الواسع أجسم من هـذا المكان الضيق ، وإن كان أكبر منه ، وإن كانت أجزاؤه زائدة على أجزائه عند من يقول بأنه مركب من الأجزاء ، ليس كل مـاهو مركب عندهم من الأجزاء يسمى جسماً ، ولا يوجد في الكلام قبض جسمه ، ولا صعد بجسمه الى السماء ، ولا أن الله يقبض أجسامنا كيف يشاء ، إنمـا يسمون ذلك روحاً ، ويفرق بين مسمى الروح ومسمى الجسم ، كما يفرق بين البدن والروح ، وكمـا يفرقون بين الجسد والروح ، فلا يطلقون لفظ

الجسد على الهواء ، فلفظ الجسم عندهم يشبه لفظ الجسد . قال الجوهري : الجسد والبدن . تقول : فيه تجسد ، كما تقول : الجسم تجسم ، كما تقدم نقله عن أئمة اللغة أن الجسم هو الجسد ، فعلم أن هذين اللفظين مترادفان ، أو قريبان من الترادف ، ولهذا يقولون : لهذا الثوب جسد ، كما يقولون : له جسم ، إذا كان غليظاً ثخيناً صفيقاً . وتقول العلماء : النجاسة قد تكون مستخبثة ، كالدم ، والميتة ، وقد لا تكون مستجسمة ، كالرطبة ، ويسمون الدم جسداً ، كما قال النابغة :

فلا لعمرو الذي قد زرته حججاً وما أُريق على الانصاب من جسد

المقدمة الثانية : أنه لو سلم ذلك ، فقولهم : إن هذا يطلقونه عند تزايد الأجزاء ، هو مبني على أن الأجسام مركبة من الجواهر المنفردة ، وهذا لو قدر أنه صحيح ، فأهل اللغة لم يعتبروه ، ولا قال أحد منهم ذلك ، فعلم أنهم إنما لحظوا غلظه ، وكثافته ، وأما كونهم اعتبروا كثرة الأجزاء أو قلتها ، فهذا لا يتصوره أكثر عقلاء بني آدم ، فضلاً عن أن ينقل عن أهل اللغة قاطبة أنهم أرادوا ذلك بقولهم : جسيم ، وأجسم ، والمعنى المشهور في اللغة ، لا يكون مسماه مالا يفهمه إلا بعض الناس ، واثبات الجواهر المنفردة أمر خص به بعض الناس ، فلا يكون مسمى الجسم في اللغة ما لا يعرفه إلا بعض الناس ، وهو المركب من ذلك . وأما الأصل الثاني العقلي ، فقولهم : إنما يشار إليه بأنه هنا وهنا ، فانه مركب من الجواهر المنفردة ، أو من المادة والصورة ، وهذا بحث عقلي ، وأكثر عقلاء بني آدم من أهل الكلام وغير أهل الكلام ، ينكرون أن يكون ذلك مركباً من الجواهر المنفردة ، أو من المادة والصورة ، وإنكار ذلك قول ابن كلاب وأتباعه الكلابية ، وهو قول الهشامية ، والنجارية ، والضرارية ، وبعض الكرامية ، وهؤلاء الذين

أثبتوا الجوهر الفرد ، وزعموا أنا لم نعلم لا بالحس ولا بالضرورة أن الله أبدع شيئاً قائماً بنفسه ، وأن جميع مانشهده مخلوقاً ، من السحاب ، والمطر ، والحيوان ، والنبات ، والمعدن ، بني آدم وغير بني آدم ، فانما فيه أنه أحدث أكواناً في الجواهر المنفردة ، كالجمع ، والتفريق ، والحركة ، والسكون . وأنكر هؤلاء أن يكون الله لما خلقنا أحدث أبداناً قائمة بأنفسها ، أو شجراً ، أو ثمراً ، أو شيئاً قائماً بنفسه ، وإنما أحدث عندهم أعراضاً . وأما الجواهر المنفردة ، فلم تزل موجودة . ثم من يقول : انها محدثة ، منهم من يقول : إنها محدثة ، ومنهم من يقول : إنهم علموا حدوثها بأنها لم تخل من الحوادث ، وما لم يخل من الحوادث ، فهو حادث ... الى أن قال : ولهذا صارت النفاة إذا أثبت أحد شيئاً من الصفات ، كان ذلك مستلزماً لأن يكون الموصوف عندهم جسماً ، وعندهم الأجسام متماثلة ، فصاروا يسمونه مشبهاً بهذه المقدمات التي يلزمهم مثل ما ألزموه لغيرهم ، وهي متناقضة ، لايتصور أن ينتظم منها قول صحيح ، وكلها مقدمات ممنوعة عند جماهير العقلاء ، وفيها من تغيير اللغة والمعقول مادخل بسببه هذه الأغاليط والشبهات ، حتى يبقى الرجل حائراً لايهون عليه إبطال عقله ودينه ، والخروج عن الإيمان والقرآن ، فان ذلك كله متطابق على إثبات الصفات ، ولا يهون عليه التزام مايلزمونه من كون الرب مركباً من الأجزاء أو مماثلاً للمخلوقات ، فانه يعلم أيضاً بطلان هذا ، وأن الرب عز وجل يجب تنزيهه عن هذا ، فانه سبحانه أحد صمد ، والأحد ينفي التمثيل ، والصمد ينفي أن يكون قابلاً للتفريق والتجسيم والبعضية ، سبحانه وتعالى ، فضلاً عن كونه مؤلفاً مركباً ألف من الأجزاء ، فيفهمون من يخاطبونه أن ماوصف به الرب نفسه لايعقل الا في بدن ، مثل بدن الانسان ، بل وقد يصرحون بذلك ويقولون : الكلام لايكون

إلا من صورة ، وصورة مركبة ، مثل فم الانسان ونحو ذلك مما يدعونه ، وإذا قال النفاة لهم : متى قلتم : إنه يرى ؟ لزم أن يكون مركباً مؤلفاً ، لأن المرئي لا يكون إلا بجهة من الرائي ، وما يكون بجهة من الرائي لا يكون إلا جسماً ، والجسم مؤلف مركب من الأجزاء ، وقالوا : إذا تكلم بالقرآن أو غيره من الكلام ، لزم ذلك ، واذا كان فوق العرش ، لزم ذلك ، صار المسلم العارف بما قال الرسول ﷺ ، يعلم أنه يرى في الآخرة ، لما تواتر عنده من الأخبار عن الرسول ﷺ بما يدل على ذلك مع مايوافق ذلك من القضايا الفطرية التي خلق الله بها عباده ، وإذا قالوا : هذا يستلزم أن الله مركب من الأجزاء المنفـــردة ، والمركب لابد له من مركب ، فلزم أن يكون الله محدثاً ، إذ المركب يفتقر الى أجزائه ، وأجزاؤه تكون غيره ، وما افتقر إلى غيره لم يكن غنياً واجب الوجود بنفسه ، حيروه وشككوه إن لم يجعلوه مكذباً لما جاء به الرسول ﷺ ، مرتداً عن بعض ما كان عليه من الإيمان ، مع أن شكه وحيرته تقدح في إيمانه ، ودينه ، وعلمه ، وعقله . فيقال : أما كون الرب سبحانه وتعالى مركباً ركبه غيره ، فهـذا من أظهر الأمور فساداً ، وهذا معلوم فساده بضرورة العقل . ومن قال هذا ، فهو من أكفر الناس وأجهلهم ، وأشدهم محاربة لله ، وليس في الطوائف المشهورة من يقول بهذا ، وكذلك إذا قيل : هو مؤلف أو مركب بمعنى أنه كانت أجزاؤه مفرقة ، فجمع بينها كما يجمع بين أجزاء المركبات ، من الأطعمة ، والأدوية والثياب ، والأبنية ، فهذا التركيب من اعتقده في الله فهو من أكفر الناس وأظلمهم ، ولم يعتقده أحد من الطوائف المشهورة في الأمة ، بل أكثر العقلاء عندهم أن مخلوقات الرب ليست مركبة هذا التركيب ، وانما يقول بهذا من يثبت الجواهر المنفردة ، وكذلك من زعم أن الرب مركب مؤلف ، بمعنى أنه يقبل التفريق والانقسام والتجزئة ، فهذا من أكفر الناس وأجهلهم .

وقوله : شر من قول الذين يقولون : إن لله ولداً ، بمعنى أنه انفصل منه فصار ولداً له . وقد بسطنا الكلام على هـذا في تفسير (قل هو الله أحد) وفي غير ذلك . وأطال الكلام رحمـــه الله ، وهذا الذي سقناه من كلامه كالشرح لهذه الأبيات ، فرحمه الله ، ورضي عنه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وركبتم إذا ذاك تحريفين تحـــريف الحديث ومحكم القرآن
وكسبتم وزرين وزر النفي والـــتحريف فاجتمعت لكم كفلان
وعداكم أجران أجر الصدق والـــإيمان حتى فاتكم حظان
وكسبتم مقتين مقت الهكم والمؤمنين فنالكم مقتان
ولبستم ثوبين ثوب الجهل والـــظلم القبيح فبئست الثوبان
وتخذتم طرزين طرز الكبر والـــتيه العظيم فبئست الطرزان
ومددتم نحو العلى باعين لـــكن لم تطل منكم لها الباعان
وأتيتموها من سوى أبوابها لكن تسورتم من الحيطان
وغلقتم بابين لو فتحا لـكم فزتم بكل بشارة وتهان
باب الحديث وباب هذا الوحي من يفتحهما فليهنه البـابان
وفتحتم بابين من يفتحهما تفتح عليه مواهب الشيطان
باب الكلام وقد نهيتم عنه والـــباب الحريق فمنطق اليونان
فدخلتم دارين دار الجهل في الـــدنيا ودار الخزي في النيران

وطعمتم لونين لون الشك والتـــــشكيك بعد فبئست اللونان

وركبتم أمرين كم قد أهلكا من أمة في سالف الأزمـان

تقديم آراء الرجال على الذي قال الرسول ومحكم القرآن

والثاني نسبتهم الى الألغاز والتـــــلبيس والتدليس والكتمان

ومكرتم مكرين لو تمالكم لتفصمت فينا عرى الإيمـان

أطفأتم نور الكتاب وسنة الـــــهادي بذا التحريف والهذيان

لكنكم أوقدتم للحرب نا راً بين طائفتين مختلفان

والله مطفيها بألسنة الألى قد خصهم بالعلم والإيمان

والله لو غرق المجسم في دم التـــــجسيم من قدم إلى الآذان

فالنص أعظم عنده وأجل قد راً أن يعارضه بقول فلان

قوله : طرزين . قال في « القـــاموس » : الطرز : الهيئة ، والطراز بالكسر : علم الثوب ، معرب ، وطرزه تطريزاً : أعلمه ، فتطرز . ومراد الناظم : الهيئة ، أي : اتخذتم هيئتين ، هيئة الكبر ، وهيئة التيه ، والله أعلم

فصل

في كسر الطاغوت الذي نفوا به صفات ذي الملكوت والجبروت

أهون بذا الطاغوت لا عز اسمه ... طاغوت ذي التعطيل والكفران

كم من أسير بل جريح بل قتيـــل تحت ذا الطاغوت في الأزمان

وترى الجبان يكاد يخلع قلبه ... من لفظه تباً لكل جبان

وترى المخنث حين يقرع سمعه ... تبدو عليه شمائل النسوان

ويظل منكوحاً لكل معطل ... ولكل زنديق أخي كفران

وترى صبي العقل يفزعه اسمه ... كالغول حين يقال للصبيان

كفران هذا الاسم لا سبحانه ... أبداً وسبحان العظيم الشان

قوله : الطاغوت ، هو مشتق من طغا ، وتقديره : طغوت ، ثم قلبت الواو ألفاً ، قال الواحدي : قال جميع أهل اللغة : الطاغوت كل ما عبد من دون الله، يكون واحداً وجمعاً ، ويذكر ويؤنث. قال الله تعالى : (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) النساء : ٦٠ فهذا في الواحد . وقال في الجمع : (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) البقرة : ٢٥٧ وقـــال في المؤنث (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) الزمر : ١٧ قال النووي : قال الليث ، وأبو عبيدة، والكسائي ، وجماهير أهل اللغة : الطاغوت : كل ما عبد من دون الله . وقال الجوهري : الطاغوت : الكاهن ، والشيطان، وكل رأس في الضلال.

قوله : أهون بذا الطاغوت ، هي صيغة تعجب ، أي : ماأهونه .

قوله : تباً . التب ، والتبيب ، والتباب ، النقص ، والخسار .

قوله : المخنث . هو اسم مفعول من خنث ، فهو مخنث ، وهو بضم الميم وفتح الخاء والنون وتشديدها قال في « القاموس » : الخنث ككتف : من فيه التخنث ، أي: تكسر وتثن. وقد خنث كفرح ، وتخنث ، والمخنث.

قوله: شمائل النسوان. الشمل: الطبع، جمع شمائل، قاله في « القاموس ».

قوله : كالغول . الغول بضم الغين : اسم ، وجمعه أغوال ، وغيلان . قال أبو السعادات : الغول واحد الغيلان، وهو جنس من الجن ، والشياطين ، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلوات تتراءى للناس ، تتلون تلوناً في صور شتى ، وتغولهم ، أي : تضلهم عن الطريق ، وتهلكهم . فنفاه النبي ﷺ وأبطله . انتهى .

ومعنى كلام الناظم أن اسم الغول اذا ذكر لصبي العقل ، لاصبي السن، أفزعه وهاله ، كما يفزع الصبي اذا خوف بالغول .

قوله : كفران ، هذا الاسم هو مصدر كفر يكفر كفراناً .

كم ذا التترس بالمحال أما ترى قد مزقته كثرة السهمان

قال في « القاموس » الترس معروف ، جمع أتراس ، وترسة ، وتراس ، وتروس ، والتراس صاحبه وصانعه ، والتراسة صنعته ، والتتريس والتترس: التستر به .

جسم وتجسيم وتشبيه أما تعيون من فشر ومن هذيان

أنتم وضعتم ذلك الطاغوت ثم به نفيتم موجب القرآن

وجعلتموه شاهداً بل حاكماً هذا على من ياأولي العدوان

أعلى كتاب الله ثم رسوله؟ بالله فاستحيوا من الرحمن
فقضاؤه بالجور والعدوان مثـــل قيامه بالزور والعدوان
وقيامه بالزور مثل قضائه بالجور والعدوان والبهتان
كم ذا الجعاجع ليس شيء تحتها إلا الصدى كالبوم في الخربان

قوله : إلا الصدى . قال في « مختار الصحاح » الصدى ذكر البوم ، والصدى أيضاً الذي يجيبك مثل صوتك في الجبال وغيرها ، وقد أصدى الجبل. قوله : كالبوم ، قال في « القاموس » البوم والبومة بضمهما : طائر ، كلاهما للذكر والأنثى ، وبومة لقب محمد بن سليمان المحدث .

ونظير هذا قول ملحدكم وقد جحد الصفات لفاطر الأكوان
لو كان موصوفاً لكان مركباً فالوصف والتركيب متحدان
ذا المنجنيق وذلك الطاغوت قد هدما دياركم الى الأركان
والله ربي قد أعان بكسر ذا وبقطع ذا سبحان ذي الإحسان

أي أن الله سبحانه قد أعان بكسر الطاغوت ، وبقطع المنجنيق بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة .

فلئن زعمتم ان هذا لازم لمقالكم حقاً لزوم بيان
فلنا جوابات ثلاث كلها معلومة الايضاح والتبيان
منع اللزوم وما بأيديكم سوى دعوى مجردة من البرهان
لا يرتضيها عالم أو عاقل بل تلك حيلة مفلس فتان
فلئن زعمتم أن منع لزومه منكم مكابرة على البطلان

معنى كلام الناظم رحمه الله تعالى في هذه الأبيات : إنكم معاشر المعطلة ألزمتم المثبتة إذا أثبتوا صفات الباري سبحانه التجسيم والتركيب .

قوله : فلئن زعمتم أن هذا لازم لمقالكم الخ .

قوله : فلنا جوابات ثلاث الى قوله : منع اللزوم وما بأيديكم سوى دعوى مجردة بلا برهان ، أي : أن ذلك لايلزم المثبتة ، لأن لازم المذهب ليس بمذهب .

قوله : فلئن زعمتم أن منع لزومه . أي : إذا قلنا باثبات الصفات ، لم يلزمنا تجسيم ، فان زعمتم أن ذلك مكابرة ، فلنا جواب ثان ؛ وهو قوله :

فجوابنا الثاني امتناع النفي في ماتدّعون لزومه ببيان
إن كان ذلك لازماً للنص فالـ ـملزوم حق وهو ذو برهان
والحق لازمه فحق مثله أنى يكون الشيء ذا بطلان
ويكون ملزوماً به حقاً فذا عين المحال وليس ذا إمكان
فتعين الإلزام حينئذ على قول الرسول ومحكم القرآن
وجعلتم أنبـاءه ماتسترا خوفاً من التصريح والكفران
والله ماقلنا سوى ماقاله هذي مقالتنا بلا كتمان
فجعلتمونا جنة والقصد مفـ ـهوم فنحن وقاية القرآن

يقول الناظم : الجواب الثاني للنفاة : إنا لم نقل إلا بما دلت عليه النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية ، فان كان لازمها التجسيم كما زعمتم ، فاذا صح ذلك ، فالملزوم حق ، لأنا لم نتبع إلا مادل عليه كتاب الله وسنة رسوله ،

لأنه من المحال أن يكون الشيء باطلًا في نفسه ، وتكون ملزوماته حقاً ، فتعين إلزامكم حينئذ على قول الرسول ومحكم القرآن ، وأنها لم يدلا إلا على التجسيم والتشبيه ، فرميتم أتباع الرسول بالتشبيه ، والتجسيم ، والتركيب ، نستراً ، وهذا معنى قوله : ماتسترا ، خوفـاً من أنكم إذا نسبتم الكتاب والسنة الى التشبيه والتجسيم ، نسبتم الى الكفـــر والضلال ، والا فالمثبتة لم يقولوا إلا بما قاله الله ورسوله ، لكن جعلتم تشنيعكم على أتباعه جنة ، وقصدكم مفهوم ، والله أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هذا وثالث مانجيب به هو اســـتفساركم يافرقة العرفان

ماذا الذي تعنون بالجسم الذي ألزمتمونا أوضحوا ببيـان

تعنون ماهو قائم بالنفس أو عال على العرش العظيم الشان

أوذا الذي قامت به الأوصاف وأ صاف الكمال عديمة النقصان

أو ماتركب من جواهر فردة أو صورة حلت هيولى ثان

أو ماهو الجسم الذي في العرف أو في الوضع عند تخاطب بلسان

أو ماهو الجسم الذي في الذهن ذا ك يقال تعليمي ذي الأذهان

ماذا الذي من ذاك يلزم من ثبو ت علوه من فوق كل مكان

فأتوا بتعيين الذي هو لازم فاذا تعين ظاهر التبيان

فأتوا ببرهانين برهان اللزو م ونفي لازمه فذان اثنـان

والله لو نشرت لكم أشياخكم عجزوا ولو واطاهم الثقلان

إن كنتمُ أنتم فحولاً فابرزوا ودعوا الشكاوي حيلة النسوان

واذا اشتكيتم فاجعلوا الشكوى الى الوحيين لا القاضي ولا السلطان

هذا هو الجواب الثالث من أجوبة المثبتة للنفاة ، وهو استفسار المثبتة للنفاة ، مامرادهم بالجسم ؟ هل هو القائم بنفسه ، كالهواء ، وروح الانسان ، ونحوهما ، أو ماهو عال على العرش ، أو ماقامت به الصفات ، أو هو الجسم التعليمي ، وهو الكمية السارية في الجسم الطبيعي الممتدة في الجهات الثلاث ، أعني : الطول والعرض والعمق ، سمي جسماً تعليمياً ، لكونه موضوعاً للحكمة التعليمية ، أعني : الحكمة الرياضية ، والذي يدل على تغاير المعنيين أنك إذا أخذت شمعة بعينها ، وشكلتها بأشكال مختلفة ، بأن جعلتها تارة كرة ، وتارة مكعباً ، وتارة أسطوانة مثلاً ، فالجسم الطبيعي باق بعينه ، وقد تغيرت كميته السارية في جهاته تغيرات شتى .

قوله : أو صورة حلت هيولى ثان ، أي : وهل المراد بالجسم المركب عند الفلاسفة المشائين من الهيولى والصورة ، أو مرادكم الجسم الذي في العرف ، أو في الوضع ، فاذا بينتم مرادكم بالجسم ، أجبناكم حينئذ بالجواب المركب ، وهذا معنى قوله :

فنجيب بالتركيب حينئذ جوا باً شافياً فيه هدى الحيران

الحق إثبات الصفات ونفيها عين المحال وليس في الإمكان

فالجسم إما لازم لثبوتها فهو الصواب وليس ذا بطلان

أو ليس يلزم من ثبوت صفاته فشناعة الالزام بالبهتان

فالمنع في احدى المقدمتين معـــلوم البيان إذاً بلا نكران

المنع إما في اللزوم أوانتفا ء اللازم المنسوب للبطلان
هذا هو الطاغوت قد أضحى كما أبصرتموه بمنة الرحمن

شرع الناظم رحمه الله في الجواب القاطع المركب ، وهو أن الحق إثبات الصفات ، ونفيها عين المحال ، وأبطل الباطل ، وحينئذ فالجسم ، إما لازم لثبوتها ، فيكون هو الصواب ، وإما أن يكون ليس بلازم ، وإنما الإلزام به من تشنيع المعطلة .

قوله : فالمنع في إحدى المقدمتين ، وهما القول بالجسم ، أو انتفاء اللازم ، معلوم بغير إنكار ، ونحن نمنع إحدى المقدمتين ، ونقول : إن كان الكتاب والسنة قد دلا على التجسيم والعياذ بالله ، فهو حق بهذا الاعتبار ، ولكن نحن نمنع اللزوم ، وهو المقدمة الثانية ، والله أعلم .

فصل

في مبدء العداوة الواقعة بين المثبتين الموحدين وبين النفاة المعطلين

ياقوم تدرون العداوة بيننا من أجل ماذا في قديم زمان؟
إنا تحيزنا إلى القرآن والنـــقل الصحيح مفسر القرآن
وكذا الى العقل الصريح وفطرة الرحمن قبل تغير الانسان
هي أربع متلازمات بعضها قد صدقت بعضاً على ميزان
والله ما اجتمعت لديكم هذه أبداً كما أقررتم بلسان

إذ قلتم العقل الصحيح يعارض المـــنقول من أثر ومن قرآن
فنقدم المعقول ثم نصرف الـــــمنقول بالتأويل ذي الألوان
فاذا عجزنا عنه ألفيناه لم نعبأ به قصداً الى الاحسان
ولكم بذا سلف لهم تابعتم لما دعوا للأخذ بالقرآن
صدوا فلما ان أصيبوا أقسموا لمرادنا توفيق ذي الاحسان
ولقد أصيبوا في قلوبهم وفي تلك العقول بغاية النقصان
فأتوا بأقوال اذا حصلتها أسمعت ضحكة هازل مجان
هذا جزاء المعرضين عن الهدى متعوضين زخارف الهذيان

معنى كلام الناظم في هذه الأبيات أنه يقول : تدرون أيها المعطلة ما مبدء العداوة الواقعة بيننا وبينكم ؟ وما الذي أحدثها ؟ ثم أخذ في بيان ذلك فقال : إنا تحيزنا الى القرآن ، والنقل الصحيح ، والعقل الصريح ، والفطرة. وأنتم أخذتم فيما زعمتم بالعقل ، وقلتم : إذا تعارض العقل والنقل ، فاما أن نردهما جميعاً ، وإما أن نقبلها جميعاً ، ولا سبيل الى ذلك ، وإما أن نقبل النقل ونترك العقل ، وهو محال ، لأن العقل أصل النقل ، فلو صدقنا النقل وكذبنا العقل ، لأفضى ذلك الى تكذيب النقل ، لأن العقل أصل النقل ، فلذلك قدمنا العقل ، ثم صرفنا النقل المخالف بزعمهم للعقل ، وذلك إما بالتأويل إن أمكن ، وإما بالتفويض .

قولـــه : ولكم بذا سلف الخ . هؤلاء السلف هم المنافقون الذين ذكرهم الله تعالى بقوله في سورة النساء (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) النساء : ٦١-٦٣ الايات

قال شيخ الاسلام رحمه الله بعالى في « العقل والنقل » وفي هذه الآيات أنواع من العبر دالة على ضلال من تحاكم الى غير الكتاب والسنة ، وعلى نفاقه ، وأن زعم أنه يريد التوفيق بين الأدلة الشرعية ، وبين مايسميه هو عقليات ، من الأمور المأخوذة عن بعض الطواغيت من المشركين وأهل الكتاب ، وغير ذلك من انواع الاعتبار ، فمن كان خطؤه لتفريطه فيما يجب عليه من اتباع القرآن والايمان مثلاً ، أو لتعديه حدود الله بسلوك السبيل التي نهي عنها ، أو لاتباع هواه بغير هدى من الله ، فهو الظالم لنفسه وهو من أهل الوعيد ، بخلاف المجتهد في طاعة الله ورسوله باطناً وظاهراً ، الذي يطلب الحق باجتهاده كما أمره الله ورسوله ، فهذا مغفور له خطؤه ، كما قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) إلى قوله : (ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) البقرة : ٢٨٥ - ٢٨٦ انتهى كلامه

قال الناظم رحمه الله تعالى :

واضرب لهم مثلا بشيخ القوم اذ يأبى السجود بكبر ذي طغيان
ثم ارتضى ان صار قواداً لأر باب الفسوق وكل ذي عصيان

قوله : واضرب لهم مثلا بشيخ القوم الخ . المراد به إبليس عليه اللعنة ، وذلك أن الله أمره بالسجود لآدم ، فعصى كبراً وطغياناً ، ثم ارتضى بأن صار قواداً لكل فاسق وعاص ، نعوذ بالله ، وهذا مأخوذ من قول أبي نواس .

عجبت من إبليس في كبره وفي الذي أظهر من نخوته
تاه على آدم في سجدة وصار قواداً لذريته

قـولـــه : نخوته ، قال في « القاموس » نخا ينخو ، نخوة : افتخر وتعظم . وكذا قوله : تاه ، أي ، تكبر .

وكذاك أهل الشرك قالوا كيف ذا بشر أتى بالوحي والقرآن
ثم ارتضوا أن يجعلوا معبودهم من هذه الأحجار والاوثان

أي : أن أهل الشرك تكبروا وقالو : الله أكبر وأجل وأعظم من أن يرسل بشراً ، ثم ارتضوا بأن جعلوا آلهتهم من الأحجار والأوثان والجماد أخس حالاً من الحيوان

وكذلك عباد الصليب حموا بتا ركهم من النسوان والولدان
وأتوا الى رب السموات العلى جعلوا له ولدا من الذكران

أي إن عباد الصليب ، وهم النصارى نزهوا بتاركهم من النساء والولدان ، ثم جعلوا لله سبحانه ولداً ، تعالى الله عن قولهم : البترك الأكبر هو لوقا الناقل عن بولس عن يوحنا عن شمعون عن المسيح عليه السلام . وأصل الترتيب عندهم أن القارىء للانجيل من أول وهلة ، شماس ، فان تأوله وإتقن حفظه صار قسيساً ، ويدوم كذلك مادام عنده زوجة ، وإن بلغ في العلم مابلغ ، فان ماتت زوجته ، فان تزوج خرج عن مراتب العلم ، ويسمي سالخ القيسوسية ، فان تنزه عن الزفر وما يخرج من الأرواح ، صار بتركاً في مذهب الأرمن . وأما الروم واليعاقبة والنسطورية ، فيرون أنه لايجوز أن يكون بتركا إلا من تنزه عن النساء وأكل الأرواح ، وما يخرج منها من أول عمره ، الا العسل ، والسمك ، لأنه خليفة المسيح ، وطاعة هؤلاء فرض على النصارى . وأما الأسقف ، والميرون ، والراهب ، فأسماء للمتعبدين خاصة ، فالماكث في القلة ميرون ، وكثير السياحة أسقف ، وتارك النساء

فقط راهب . وشرط الروم ملازمته للبس المسوح ، وخدمة الدير ، وأن لا يصلي خارج الكنيسة .

وكذلك الجهمي نزه ربه عن عرشه من فوق ذي الاكوان
حذراً من الحصر الذي في ظنه أو أن يرى متحيزاً بمكان
فاصأره عدما وليس وجوده متحققاً في خارج الاذهان
لكنما قدماؤهم قالوا بأن الذات قد وجدت بكل مكان
جعلوه في الآبار والأنجاس والـــخانات والخربات والقيعان

قال في « القاموس » الخان: الحانوت، أو صاحبه ، وخان التجار معروف قوله القيعان . قال في « القاموس » القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عليها الجبال والآكام ، جمع قيع وقيعة ، وقيعان بكسرهن، أي : أن الجهمية نزهوا الله عن أن يكون مستوياً على عرشه ، حذراً من أن يكون محصوراً أو متحيزاً ، ثم قالوا : إنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل ، فأوقعوا عليه صفة المعدوم .

قوله : لكنما قدماؤهم قالوا بأن الذات الخ أي : أن قدماء الجهمية قالوا بأنه سبحانه موجود بكل مكان ، تعالى الله عن ذلك ، ولكن هذا ليس قول الجهمية الأولين جميعهم ، فان هذا قول النجارية ، والضرارية ، كما تقدم ذلك في أوائل هذا الشرح ، ففي كلامه مسامحة .

والقصد أنكم تحيزتم الى الـــآراء وهي كثيرة الهذيان
فتلونت بكم فجئتم أنتم متلونين عجائب الالوان
وعرضتم قول الرسول على الذي قد قاله الاشياخ عرض وزان

وجعلتم أقوالهم ميزان ما قد قاله والعدل في الميزان

أي : أن هذا ميزان عائل جائر . قال في « القاموس » عال : جار عن الحق والميزان ، نقص .

ووردتم سفل المياه ولم نكن نرضى بذاك الورد للظمآن

وأخذتم أنتم بنيات الطريق ونحن سرنا في الطريق الاعظم السلطان

بنيات الطريق هي الطرق الصغار تتشعب من الطريق الأعظم ثم ترجع اليه

وجعلتم تُرس الكلام مجنة تبا لذاك الترس عند طعان

ورميتم أهل الحديث بأسمهم عن قوس موتور الفؤاد جبان

فتترسوا بالوحي والسنن التي تتلوه نعم الترس للشجعان

تقدم تفسير الترس .

قوله : موتور . هو اسم مفعول ، من وتره يتره . قال في « القاموس » وتره يتره ، وتراً ، وترة ، والقوم جعل شفعهم وتراً ، كأوترهم ، والرجل أفزعه وأدركه بمكروه ، ووتره ماله : نقصه إياه . انتهى .

قلت : ومنه الحديث « الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله »

هو ترسهم والله من عدوانكم والترس يوم البعث من نيران

أفتاركوه لفشركم ومحالكم لا كان ذاك بمنة الرحمن

ودعوتمونا للذي قلتم به قلنا معاذ الله من خذلان

فاشتد ذاك الحرب بين فريقنا وفريقكم وتفاقم الأمران

وتأصلت تلك العداوة بيننا من يوم أمر الله للشيطان

بسجوده فعصى وعارض أمره بقياسه وبعقله الخوان

فأتى التلاميذ الوقاح فعارضوا أخباره بالفشر والهذيان

ومعارض للأمر مثل معارض الـ أخبارهم في كفرهم صنوان

من عارض المنصوص بالمعقول قد ماأخبرونا ياأولي العرفان

أو ما عرفتم أنه القدري والـ جبري أيضاً ذاك في القرآن

إذ قال قد أغويتني وفتنتني لأزينن لهم مدى الازمان

فاحتج بالمقدور ثم ابان أن الفعل منه بغية وزيان

فانظر الى ميراثهم ذاالشيخ بالتـ عصيب والميراث بالسهمان

فسألتكم بالله من وراثه مناومنكم بعد ذا التبيان

حاصل كلام ناظم في هذه الأبيات ، أن أصل العداوة بيننا وبينكم يامعشر من عارض أمر الله بقياسه وعقله ، من حين أمر الله إبليس بالسجود لآدم فعصى وعارض أمر الله بالعقل والقياس ، وذلك فيما حكى الله عنه ، وهو قوله : (لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) الحجر : ٣٣ وقوله : (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) الأعراف : ١٢ يعني النار خير وأفضل من الطين ، فأنا خير من آدم ، فهذا معارضة اللعين للأمر بالعقل والقياس .

وقوله : وأتى التلاميذ الوقاح فعارضوا أخباره الخ . أي: ان النفاة عارضوا الأخبار بالفشر والهذيان، وقالوا : العقل يعارض النقل ، والقواطع تعارض الظواهر اللفظية ، والأدلة اللفظية لاتفيد اليقين ، ونحو ذلك

من الفشر والهذيان ، وهذا معنى معارضتهم للخبر ، وهو معنى قول الناظم ومعارض للأمر مثل معارض الاخبار الخ

قوله : من عارض المنصوص بالمعقول قدماً الخ . أي : أن إبليس حين احتج بالقدر ، وهو قوله : (فبما أغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين) الحجر : ٣٩ فاحتج أولا بالقدر والجبر ، وهو قوله : (فبما أغويتني) ثم قال : (لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين) فتبعته القدرية المجبرة في الاحتجاج بالقدر ، وأنهم مجبورون على أفعالهم ، وتبعته القدرية النفاة ، وهم الذين زعموا أن أفعال العباد غير مخلوقة في قوله :(لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين) فالقدرية المجبرة تبعوه في الجبر، والقدرية النفاة تبعوه في نفي خلق أفعال العباد ، فالطائفتان قد عارضتا المنصوص بالمعقول ، وهذا معنى قول الناظم: فانظر الى ميراثهم ذا الشيخ بالتعصيب كما هو ظاهر ،و الله أعلم . وقد تقدم الكلام في مذهب أهل السنة والجماعة في « خلق أفعال العباد » وفي رد مذهب الجبرية .

هذا الذي ألقى العداوة بيننا اذ ذاك واتصلت الى ذا الآن
اء لمتتمُ اصلاً وأصل خصمكم اصلاً فحين تقابل الأصلان
ظهر التباين فانتشت مابيننا الـ ـحرب العوان وصيح بالاقران
أصلتم رأى الرجال وخرصها من غير برهان ولا سلطان
هذا وكم رأي لهم فبرأي من نزل النصوص فأوصخوا ببيان
كل له رأي ومعقول لـه يدعو ويمنع أخذ رأي فلان

والخصم اصل محكم القرآن مع قول الرسول وفطرة الرحمن
وبنى عليه فاعتلى بنيانه نحو السما أعظم بذا البنيان
وعلى شفا جرف بنيتم أنتم فأتت سيول الوحي والايمان
فعلت أساس بنائكم فتهدّمت تلك السقوف وخر للاركان
الله أكبر لو رأيتم ذلك البنيان حين علا كمثل دخان
تسمو اليه نواظر من تحته وهو الوضيع ولو يرى بعيان
فاصبر له وهناك ورد الطرف نلقاه قريباً في الحضيض الداني

ثم شرع الناظم رحمه الله في بيان أن التعطيل أساس الزندقة والكفر ، وأن الاثبات أساس العلم والايمان . فقال :

فصل

في بيان أن التعطيل أساس الزندقة والكفران ، والاثبات أساس العلم والايمان

من قال إن الله ليس بفاعل فعلاً يقوم به قيام معان
كلا وليس الامر أيضاً قائماً بالرب بل من جملة الاكوان

اي : من قال : إن الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ، والأمر هو المأمور ، وقد تقدم بسط الكلام في ذلك .

قوله : قيام معان ، هو بفتح الميم ، أي : قياماً معنوياً .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

كلا وليس الله فوق عباده بل عرشه خلو من الرحمن

فثلاثة والله لاتبقي من الـــ ايمان حبة خردل بوزان

وقداستراح معطل هذي الثلا ث من الاله وجملة القرآن

ومن الرسول ودينه وشريعته الـــ اسلام بل من جملة الاديان

قوله : خلو، بكسر الخاء ، أي : خال .

قوله : هذي الثلاث ، وهن القول بأن فعله تعالى وأمره لا يقومان به ، والقول بنفي الفوقية والعلو لايبقي من الايمان حبة خردل .

وتمام ذاك جحوده لصفاته والذات دون الوصف ذو البطلان

أي : وتمام ذاك جحود صفـــات الرب تعالى ، مع أن وجود ذات بغير صفات باطل .

وتمام ذا الايمان إقرار الفتى بالله فاطر هذي الاكوان

فاذا أقربه وعطل كل مفـــروض ولم يتوق من عصيان

لم ينقص الايمان حبة خردل أنى وليس بقابل النقصان ؟!

هذا هو القول بالايمان، هو التصديق والمعرفة ، كما هو قول الجهمية والأشعري في المشهور من قوليه ، وأنه لايزيد ولا ينقص .

وتمام هذا قوله إن النبـــوة ليس وصفاً قام بالانسان

لكن تعلق ذلك المعنى القديـــم بواحد من جملة الانسان

هذا وما ذاك التعلق ثابتاً في خارج بل ذاك في الاذهان
فتعلق الاقوال لا يعطي الذي وقفت عليه الكون في الأعيان
هذا اذا ما حصل المعنى الذي قلتم هو النفسيّ في البرهان
لكنّ جمهور الطوائف لم يروا ذا ممكناً بل ذاك ذو بطلان
ماقال هذا غيركم من سائر النـــظار في الآفاق والازمان
تسعون وجهاً بينت بطلانه لولا القريض لسقتها بوزان

أي : وتمام هذا قوله . إن النبوة ليس وصفاً قام بالنبي ، وإن المعنى القديم وهو المعنى النفسي ، تعلق به ، ومع ذلك ، فالتعلق ليس ثابتاً في الخارج ، بل هو في الذهن ، وذلك هو المعنى النفسي الذي أثبتته الأشاعرة.

قولـه : ماقال هذا غيركم الخ . أي : ماقال هذا القول أحد غيركم معشر الأشعرية .

قوله : تسعون وجهاً الخ . هذه الأوجه ساقها شيخ الاسلام في رسالته المعروفة « بالتسعينية »

قوله : لولا القريض . قال في « القاموس » قرضه يقرضه ، قطعه ، وجازاه كقارضه ، والشعر قاله .

ياقوم أين الرب أين كلامه أين الرسول فأوضحوا ببيان
مافوق عرش الرب من هو قائل طه ولا حرفاً من القرآن
ولقد شهدتم ان هذا قولكم والله يشهد مع أولي الايمان
وارحمتاه لكم غبنتم حظكم من كل معرفة ومن ايمان

ونسبتم للكفر أولى منكم بالله والايمان والقرآن
هذي بضاعتكم فمن يستامها فقد ارتضى بالجهل والخسران
وتمام هذا قولكم في مبدء ومعادنا أعني المعاد الثاني

هذا على قول مثبتي الجوهر الفرد ، وقد تكلموا في معاد الابدان على هذا الاصل ، فمنهم من يقول : يفرق الاجزاء ثم يجمعها ، ومنهم من يقول : يعدمها ثم يعيدها . واختلفوا ههنا فيما إذا أكل حيوان حيواناً ، فكيف يعاد ؟ وادعى بعضهم أن الله يعدم أجزاء العالم ، ومنهم من يقول : هذا لايمكن أن يعلم ثبوته ولاانتفاؤه ، والمعاد عندهم يفتقر الى أن يبتدىء هذي الجواهر ، والجهم بن صفوان منهم يقول : يعدمها بعد ذلك ، ويقول: بفناء الجنة والنار . وأبو الهذيل العلاف يقول: تعدم الحركات .

قال ابن العربي في « عقيدته الوسطى » اختلف أهل السنة في الاعادة هل بالجمع والتفريق ، أو بعد محض العدم ؟ والحق التوقف ، وهو اختيار امام الحرمين ، اذ كلاهما جائز عقلا في قدرته تعالى ، ولا قاطع في ذلك ، فالأحوط التوقف . انتهى

وفي شرح الرسالة ، للشيخ أبي القاسم ابن ناجي. قال بعض الشيوخ: أجمع أهل الحق على القول برد الجواهر بأعيانها ، وانما اختلفوا :هل عن عدم أو تفريق ؟ قال أبو المعالي : لادليل قاطع بأحدهما ، والظواهر تقتضي الاعدام لابالتفريق ، وعليه فترد بأعيانها ، وكون الابتداء والاعادة بالعلم والقدرة والارادة . وأما إن قلنا بالتفريق لا بالاعدام ، فتجمع الجواهر ، ثم يخلق تعالى فيها الصفات بأعيانها كما كانت أول مرة ، وكل ماهو ممكن ، فالقدرة صالحة لايقاعه انتهى .

وقال شارح « المواقف » وهل يعدم الله الأجزاء البدنية ثم يعيدها ، أم يفرقها ويعيد تأليفها ؟ الحق أنه لم يثبت في ذلك شيء ، فلا نجزم فيه نفياً ولا إثباتاً ، لعدم الدليل على شيء من الطرفين ، وليس في قوله تعالى

(كل شيء هالك الا وجهه) القصص : ٨٨ دليل على الاعدام ، لأن التفريق هلاك كالاعدام ، فهلاك كل شيء خروجه عن صفاته المطلوبة منه وزوال التأليف كذلك ، ومثله يسمى فناء عرفاً ، فلا يتم الاستدلال بقوله تعالى (كل من عليها فان) الرحمن : ٣٧ على الاعدام أيضاً ، والله تعالى أعلم . انتهى كلامه .

فهذا قول النفاة في المعاد ، أما قولهم في المبدأ ، فقد تقدم الكلام عليه ، والله أعلم .

وتمام هذا قولكم بفناء دا ر الخلد فالداران فانيتان

أي : إن الجهمية قالوا بفناء الجنة والنار

ياقومنا بلغ الوجود بأسره الد نيا مع الاخرى مع الايمان

والخلق والامر المنزل والجزا ء منازل الجنات والنيران

والناس قد ورثوه بعد فنهم ذو السهم والسهمين والسهمان

بئس المورث والمورث والترا ث ثلاثة أهل لكل هوان

ياوارثين نبيهم بشراكمُ مارإثكم مع إرثهم سيان

شتان بين الوارثين وبين مو روثيهما وسهام ذي سهمان

ياقوم ماصاح الأئمة جهدهم بالجهم من أقطارها بأذان

الا لما عرفوه من أقواله ومآلها بحقيقة العرفان

قول الرسول وقول جهم عندنا في قلب عبد ليس يجتمعان

نصحوكمُ والله جهد نصيحة مافيهمُ والله من خوان

فخذوا بهديهم فربي ضامن ورسوله أن تفعلوا بجنان

أي : إن قول أهل النفي والتعطيل ، قد بلغت شناعاته الوجود بأسره

الدنيا والآخرة ، والخلق والأمر ، والجزاء ، والجنة ، والنار . وقد توارث الناس تلك الضلالات والشناعات ، فمنهم من ورث السهم ، ومنهم من ورث السهمين ، ومنهم من ورث السهمان .

قوله : والله ماصاح الأئمة جهدهم الخ . أي : ما كثر تشنيع الأئمة الكبار في جميع المدن والأقطار ، وتحذيرهم من جهم وأقواله إلا لما عرفوا من مآلها المنافي للدين المباين للحق واليقين .

قال الناظم رحمه الله تعالى

فاذا أبيتم فالسلام على من اتـــبع الهدى وانقاد للقرآن

سيروا على نجب العزائم واجعلوا بظهورها المسرى الى الرحمن

سبق المفرد وهو ذاكر ربه في كل حال ليس ذا نسيان

يشير الى مارواه مسلم في « صحيحه » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة ، فمر على جبل يقال له : جمدان فقال : سيروا ، هذا جمدان ، سبق المفرودون ، قالوا : وما المفردون يارسول الله ؟ قال : « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » روي لفظ (المفردون) من التفريد ، ومن الافراد ، والمشهور الذي قاله الجمهور هو التشديد

لكن أخا الغفلات منقطع به بين المفاوز تحت ذي الغيلان

صيد السباع وكل وحش كاسر بئس المضيف لأعجز الضيفان

قال في « القاموس » كسر الطائر كسراً وكسوراً : ضم جناحيه ، يريد الوقوع ، وعقاب كاسر .

وكذلك الشيطان يصطاد الذي لايذكر الرحمن كل أوان

والذكر أنواع فأعلى نوعه ذكر الصفات لربنا المنان

وثبوتها أصل لهذا الذكر والـــنافي لها داع الى النســيان

فلذاك كان خليفه الشيطان ذا لا مرحباً بخليفة الشيطان

والذاكرون على مراتبهم فأعـــلاهم اولو الايمان والعرفان

بصفاته العلياء اذ قاموا بحمـــد الله في سر وفي إعلان

وأخص أهل الذكر بالرحمن أعـــلمهم بها هم صفوة الرحمـــن

وكذاك كان محمد وأبوه ابـــراهيم والمولود من عمران

وكذاك نوح وابن مريم عندنا هم خير خلق الله من انسان

لمعارف حصلت لهم بصفاته لم يؤتها أحد من الانسان

وهم أولو العزم الذين بسورة الـــ أحزاب والشورى أتوا ببيان

وكذلك القرآن مملوء من الـــ أوصاف وهي القصد بالقرآن

ليصير معروفاً لنا بصفاته ويصير مذكوراً لنا بجنان

ولسان ايضاً مع محبتنا له فلاجل ذا الاثبات في الايمان

مثل الأساس من البناء فمن يرم هدم الاساس فكيف بالبنيان؟!

يعنى الناظم رحمه الله تعالى ، أن الذكر أنواع . فأعلاها ذكر الصفات ، وثبوت صفاته سبحانه أصل لهذا الذكر ، ونافي الصفات داع الى نسيانها ، وهو خليفة الشيطان ، والذاكرون على مراتب ، فأعلاهم أولو الايمان

والعرفان بصفاته سبحانه ، ولذلك قاموا بحمد الله في السر والاعلان ، وأخص أهل الذكر بالله ، أعلمهم بصفاته ، ولذلك كان أولو العزم من الرسل ، وهم نوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، هم خير خلق الله، للمعارف التي حصلت لهم بصفاته سبحانه ، بحيث لم يؤتها غيرهم ، ولذلك القرآن مملوء بصفاته سبحانه ، وهي القصد بالقرآن، ليكون معروفاً لعباده بصفاته ، مذكوراً لهم بقلوبهم ، وهو معنى قوله : مذكوراً لهم بجنان ، وهو القلب ، ونحو من هذا قول الناظم في المقدمة: وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة باريها وفاطرها ، ومحبته وذكره ، والابتهاج به ، وطلب الوسيلة اليه ، والزلفى عنده ، ولا سبيل الى هذا بمعرفة أوصافه وأسمائه ، فكلما كان العبد بها أعلم ، كان بالله أعرف ، وله أطلب ، واليه أقرب، وكلما كان لها أنكر ، كان بالله أجهل، واليه أكره ، ومنه أبعد ...الى آخر ماذكره . قال الناظم رحمه الله تعالى في كتاب « الكلم الطيب » الذكر نوعان .أحدهما: ذكر أسماء الرب وصفاته والثناء عليه ، وتنزيهه ، وتقديسه عما لا يليق به ، وهذا أيضاً نوعان. أحدهما : إنشاء الثنا عليه بها من الذاكر ، وهذا النوع هو المذكور في الاحاديث ، نحو: سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله اكبر. سبحان الله وبحمده. لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . ونحو ذلك ، فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء ، وأعمه ، نحو سبحان الله عدد خلقه . فهذا أفضل من نحو: سبحان الله . وقولك: الحمد لله عددما خلق في السماء ، وعددما خلق في الأرض ؛ وعدد ما بينهما ، وعدد ما هو خالق. أفضل من نحو قولك : الحمد لله . ولهذا جاء في حديث جويرية أن النبي ﷺ قال لها : « لقد قلت بعدك أربع كلمات ـ ثلاث مرات ـ ، لو وزنت بما قلت

اليوم لوزنتهن ، سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضى نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته » رواه مسلم . وفي الترمذي و « سنن أبي داود » عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه أنه دخل مع النبي ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أوحصى تسبح به ، فقال : « أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل ؟ سبحان الله عدد ماخلق في السماء ، وسبحان الله عدد ماخلق في الارض ، وسبحان الله عدد مابين ذلك ، وسبحان الله عدد ماهو خالق ، والله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك »

النوع الثاني : الخبرعن الرب تعالى باحكام أسمائه وصفاته ، نحو قولك: الله عز وجل يسمع أصوات عباده ، ويرى حركاتهم ، ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم ، وهوأرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم ، وهو على كل شيء قدير ، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد لراحلته ، ونحوذلك . وأفضل هذا النوع الثناء عليه بما أثنى به على نفسه ، وبماأثنى عليه رسوله ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، وهذا النوع أيضاً ثلاثة أنواع ، حمد ، وثناء ، ومجد ، فالحمد : الاخبار عنه بصفات كماله ، مع محبته والرضى عنه ، فلا يكون المحب الساكت حامداً ، ولا المثني بلا محبة حامداً ، حتى يجتمع له المحبة والثناء ، فان كرر المحامد شيئاً بعد شيء ، كان ثناء ، وان كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك ، كان مجداً . وقد جمع الله تعالى لعبده الأنواع الثلاثة في أول سورة الفاتحة ، فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال حمدني عبدي وإذا قال : (الرحمن الرحيم) قال : أثنى علي عبدي ، واذا قال : (مالك يوم الدين) قال : مجدني عبدي.

والنوع الثاني من الذكر ، ذكر أمره ونهيه وأحكامه ، وهذا أيضاً نوعان : إلى آخر كلامه ، وهو كلام نفيس .

قوله : أولو العزم الذين بسورة (الاحزاب) و (الشورى) قال تعالى في سورة الاحزاب ٧ : (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) وفي سورة الشورى :١٣ (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ...) الايه .

قوله : فلأجل ذا الاثبات في الايمان مثل الاساس من البناء ، يعني أن الاثبات في الايمان مثل الأساس مع البناء، وقد قال الشافعي رحمه الله تعالى: الاثبات أمكن ، نقله عنه الخطابي .

والله ماقام البناء لدين رســـل الله بالتعطيل للديان
ماقام الا بالصفات مفصلا اثباتها تفصيل ذي عرفان
فهي الاساس لديننا ولكل ديـــن قبله من سائر الايان
وكذاك زندقة العباد أساسها التـــعطيل يشهد ذا اولو العرفان
والله مافي الأرض زندقة بدت الا من التعطيل والنكران
والله مافي الأرض زندقة بدت من جانب الاثبات والقرآن
هذي زنادقة العباد جميعهم ومصنفاتهم بكل مكان
مافيهم أحد يقول الله فو ق العرش مستول على الاكوان
ويقول ان الله جل جلاله متكلم بالوحي والقرآن

ويقول ان الله كلم عبده موسى فأسمعه بذي الآذان
ويقول ان النقل غير معارض للعقل بل أمران متفقان
والنقل جاء بما يحار العقل فيـــه لا المحال البين البطلان
فانظر الى الجهمي كيف أتى الى أس الهدى ومعاقل الايمان
بمعاول التعطيل يقطعها فما يبقي على التعطيل من ايمان
يدري بهذا عارف بمآخذ الـــ أقوال مضطلع بهذا الشان
والله لو حدثتمُ لرأيتمُ هذا وأعظم منه رأي عيان
لكن على تلك العيون غشاوة ماحيلة الكحال في العميـان

أقسمَ الناظم رحمه الله في البيت الذي أوله : والله ماقام الأساس لدين رسل الله الخ . . إن دين الرسل عليهم السلام ماقام بالتعطيل ، وإنه ماقام إلا باثبات الصفات مفصلة ، ثم أخبر أن زندقة العباد أساسها التعطيل ، فانظر زنادقة العباد ومصنفاتهم بكل مكان ، فانه ليس فيهم من يثبت علو الله تعالى على خلقه ، أو يقول : ان الله سبحانه متكلم بالوحي والقرآن ، وإن الله كلم عبده موسى فأسمعه النداء .

قوله : ويقول : إن النقل غير معـارض للعقل الخ . أي : إن المعطلة تقول : إن العقل يعارض النقل ، وحاشا من ذلك ، لكن النقل جاء بحارات العقول ، أي : بما تتحير فيه العقول . وأما أن النقل يجيء بالمحال الباطل ، فكلا ، ومعاذ الله .

فصل

في بهت أهل الشرك والتعطيل في رميهم أهل التوحيد والإثبات بتنقيص الرسول ﷺ

قالوا تنقصتم رسول الله وا عجبا لهذا البغي والبهتان
عزلوه ان يحتج قط بقوله في العلم بالله العظيم الشان
عزلوا كلام الله ثم رسوله عن ذاك عزلاً ليس ذا كتمان
جعلوا حقيقته وظاهره هو الـــكفر الصريح البين البطلان
قالوا وظاهره هو التشبيه والـــتجسيم والتمثيل حاشا ظاهر القرآن
من قال في الرحمن مادلت علـــيه حقيقة الاخبار والفرقان
فهو المشبه والممثل والمجـــسم عابد الأوثان لا الرحمن
تالله قدمسخت عقولكم فليـــس وراء هذا قط من نقصان
ورميتم حزب الرسول وجنده بمصابكم يافرقة البهتان
وجعلتم التنقيص عين وفاقه اذ لم يوافق ذاك رأي فلان
أنتم تنقصتم إله العرش والـــقرآن والمبعوث بالقرآن
نزهتموه عن صفات كماله وعن الكلام وفوق كل مكان
وجعلتم ذا كله التشبيه والـــتمثيل والتجسيم ذا البطلان

وكلامكم فيه الشفاء وغاية الـــتحقيق ياعجباً لذا الخذلان

جعلوا عقولهم أحق بأخذ ما فيها من الأخبار والقرآن

وكلامه لايستفاد به اليقيـــن لأجل ذا لايقبل الخصمان

تحكيمه عند اختلافهما بل المـــعقول ثم المنطق اليونان

أي التنقص بعد ذا لولا الوقا حة والجراءة ياأولي العدوان

معنى كلامه في هذه الأبيات أن أهل التعطيل رموا أهل التوحيد لما جردوا التوحيد، والمتابعة، وأفردوا الله تعالى بجميع أنواع العبادة خوفاً، ورجاء، وتوكلاً، وخشية، وقالوا: لايجوز صرف العبادة ولا شيء منها لملك مقرب، ولا نبي مرسل، وقدموا أقوال الرسول على غيره، فلأجل ذلك رموهم بتنقص الرسول، والمعطلة مع ذلك قد تنقصوا الله تعالى ورسوله وكتابه، أما تنقصهم الله تعالى، فانهم سلبوه صفات كماله، ونزهوه عن الكلام والفوقية، وجعلوا ذلك تشبيهاً وتجسيماً، وأما تنقصهم الرسول، فانهم عزلوه أن يحتج بقوله في العلم بالله، وأما تنقصهم القرآن، فانه عندهم لايفيد اليقين، إذ هو أدلة لفظية عارضتها القواطع العقلية بزعمهم، وأن القرآن لايحكم عند الاختلاف، وإنما يرجع الى العقول والمنطق، وأما أهل الاثبات، فانهم حكموا الرسول ﷺ وما جاء به في الدق والجل، ولهذا قال: أي التنقص بعد ذا لولا الوقاحة والجراءة الخ.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

يامن له عقل ونور قد غدا يمشي به في الناس كل زمان

لكننا قلنا مقالة صارخ في كل وقت بينكم بأذان

الرب رب والرسول فعبده حقاً وليس لنا إله ثان
فلذاك لم نعبده مثل عبادة الـــرحمن فعل المشرك النصراني
كلا ولم نغلوا الغلو كما نهى عنه الرسول محافة الكفران
لله حق لا يكون لغيره ولعبده حق هما حقان
لاتجعلوا الحقين حقاً واحداً من غير تمييز ولا فرقان
فالحج للرحمن دون رسوله وكذا الصلاة وذبح ذي القربان
وكذا السجود ونذرنا ويميننا وكذا مثاب العبد من عصيان
وكذا التوكل والانابة والتقى وكذا الرجاء وخشية الرحمن
وكذا العبادة واستعانتنا به اياك نعبد ذاك توحيدان
وعليهما قام الوجود بأسره دنيا وأخرى حبذا الركنان
وكذلك التسبيح والتكبير والـــتهليل حق إلهنا الديان
لكنما التعزير والتوقير حـــق للرسول بمقتضى القرآن
والحب والإيمان والتصديق لا يختص بل حقان مشتركان
هذي تفاصيل الحقوق ثلاثة لاتجهلوها ياأولي العدوان
حق الإله عبادة بالأمر لا بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك به شيئاً هما سببا النجاة فحبذا السببان
ورسوله فهو المطاع وقوله الـــمقبول إذ هو صاحب البرهان

والأمر منه الحتم لاتخيير فـــيه عند ذي عقل وذي إيمان
من قال قولاً غيره قمنا على أقواله بالسير والميزان
إن وافقت قول الرسول وحكمه فعلى الرؤوس تشال كالتيجان
أو خالفت هذا رددناها على من قالها من كان من انسان
أو أشكلت عنا توقفنا ولم نجزم بلا علم ولا برهان
هذا الذي أدى إليه علمنـا وبه ندين الله كل أوان
فهو المطاع وأمره العالي على أمر الورى وأمر ذي السلطان
وهم المقدم في محبتنا على الـــأهلين والأزواج والولدان
وعلى العباد جميعهم حتى على الـــنفس التي قد ضمها الجنبان

شرع الناظم رحمه الله في بيان الحقوق التي لله ورسوله ، فذكر أن حق الله سبحانه ، هو عبـــادته بأمره ، لا بهوى النفس ، وذلك ، كالحج والصلاة ، والذبح ، والسجود ، والنذر ، واليمين ، والتوبة ، والتوكل ، والانابة ، والتقى ، والرجاء ، والخشية ، والاستعانة ، والتكبير ، والتهليل ، ونحوها ، فكل هذا حق لله ، لايشركه فيه غيره ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل. وأما المختص بالرسول ﷺ ، فهو التعزير ، والتوقير ، كما في قوله تعالى (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) الفتح : ٩ وأما الحب والإيمان والتصديق ، فهي مشتركة بين الله ورسوله ، فقد وضحت الحقوق الثلاثة ، وهذا معنى قوله : هذي تفاصيل الحقوق الثلاثة الخ .

قوله : ورسوله فهو المطاع وقوله الخ . يدل على هذا قوله تعالى (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ...) النساء : ٦٥ الآية

قوله : فهو المقدم في محبتنا الخ . يشير الى قوله ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » . وقول عمر رضي الله عنه : يارسول الله لأنت أحب الي من كل شيء الا من نفسي ، فقال : « لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب اليك من نفسك » فقال عمر : انك الآن أحب الي من نفسي . فقال « الآن ياعمر » رواه البخاري .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ونظير هذا قول أعداء المسيح من النصارى عابدي الصلبان

انا تنقصنا المسيح بقولنا عبد وذلك غاية النقصان

لو قتمُ ولد إله خالق وفيتموه حقه بوزان

وكذاك أشباه النصارى مذغلوا في دينهم بالجهل والطغيان

صاروا معادين الرسول ودينه في صورة الأحباب والاخوان

أي : ونظير غلوهم في الرسول ﷺ غلو عباد الصليب من النصارى في المسيح ، لما قال لهم النبي ﷺ : « ان المسيح عبد » فقالوا له : تنقصت المسيح وعبته ، وقد تقدم من كلام الناظم في « شرح منازل السائرين » مايتضح به في معنى هذه الأبيات في الفصل الذي أوله : والشرك فاحذره فشرك ظاهر الخ .

فانظر الى تبديلهم توحيده بالشرك والإيمان بالكفران

وانظر الى تجريده التوحيد من أسباب كل الشرك بالرحمن

واجمع مقالتهم وما قد قاله واستدع بالنقاد والوزان

عقل وفطرتك السليمة ثم زن هذا وذا لاتطغ في الميزان